

إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام / العدد (١٣٠)

بين يدي الصيحة قراءة في الأحلام منهجاً وعلماً

بقلم

الأستاذ زكي الأنصاري

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن عليه السلام

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي:

www.almahdyoon.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله ﷺ: (لولا أن الشياطين يحومون حول قلب ابن آدم لنظر إلى الملكوت)^(١).

قول رسول الله ﷺ يكشف عن أمر غاية في الأهمية ذاك هو أن النظر في الملكوت هو دلالة علم ومعرفة، وإلا ما معنى حوم الشياطين حول قلب ابن آدم إلا لمنعه من المعرفة الحق والعمل على إبقائه في ظلمة الجهل، ومن ثم استغلاله في معصية الله سبحانه ليتحقق ظن إبليس (لعنه الله) وسعيه في الإغواء.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢)، وكذلك هذه الرواية الشريفة تدل على أن النجاة هي في السعي للنظر في الملكوت؛ لأنه عالم الطهر والمعرفة، وهو عالم الارتقاء والاقتراب من النور ورؤية الحقائق العليا، وبهذا النظر تتحقق الغاية من الخلق وهي معرفة الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)، أي إلا ليعرفون - بحسب ما ورد عن الطاهرين عليهم السلام - وهذه المعرفة تتطلب من المرء الارتقاء في عوالم النور، والسييل إلى ذلك هو بالنظر إلى الملكوت، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام قد فتح الله سبحانه له باب الملكوت ليرى فيه وليكون من الموقنين.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

١- عوالي اللآلئ - لابن أبي جمهور الاحسائي: ج ٤ ص ١١٣.

٢- الأعراف: ١٤ - ١٧.

٣- الذاريات: ٥٦.

المُشْرِكِينَ ^(١)، ولذا فإغلاق باب الملكوت هو دليل على نجاح الشياطين (لعنهم الله) في عملهم، فهم كل همهم هو أن يعزلوا بني آدم عن الملكوت؛ لأنهم يعلمون تمام العلم أن ما يأتي من الملكوت هو كاشف لكل ما يخططون له ومحبط لكل عملهم، ولذا على الناس أن تنتبه من غفلتها وانغماسها في عالم لم يتعد وصفه من خالقه أكثر من كونه عالم لهو ولعب.

قال تعالى: **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** ^(٢)، والملكوت هو دار الآخرة، والسعي للنظر إليه هو لمعرفة ما ادخره الله سبحانه لعباده في الآجل من نعيم المعرفة والقرب من محل قدسه سبحانه، والنظر إلى الملكوت هو من يعرف العبد بمآله الذي هو إليه صائر، وهو الذي يكشف له حقيقة هذا العالم كونه عالم امتحان، ودار قلعة - كما وصفها أمير المؤمنين عليه السلام - ودار ممر، ولذا أمرونا الطاهرون عليهم السلام بالتزود منها لدار المقر، فقالوا - ما معناه - إنما الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر فتزودوا من ممركم إلى مقركم، وكيف يعرف المرء ضرورة التزود لدار المقر ما لم يطلع عليها ويتعرف إليها؟؟ ولذلك جعل الله سبحانه برحمته وفضله سبيل الملكوت والنظر فيه لتزود بتلك المعرفة التي تدفعنا إلى الشوق إلى دار المقر، والاستيحاش من دار الممر.

لقد تعددت طرق النظر إلى الملكوت، ولعل أظهر تلك الطرق طريق الرؤيا في المنام، وهذا الطريق تكون في نفس ابن آدم متحررة من تدبير البدن ومتطلعة إلى عالمها الذي قدمت منه، ويقدم هذا الطريق إلى النفس ما يعينها على العمل والاجتهاد في سبيل تحقيق الغاية الإلهية ويكون دورها في البدن دور المحرك له باتجاه هذه الغاية، ولولا ذلك لاستحال البدن قبراً لهذه النفس ولكان همها ليلاً ونهاراً هو تدبير أمره وتنفيذ شهواته كما هو حاصل اليوم لدى الغالبية من الناس الذي نسوا الله سبحانه فأنساهم أنفسهم، وجعلهم يقبرونها في الجسد ولا يلتفتون إلى ذلك، ومن ثم يجرمون أنفسهم من نور المعرفة الحق.

وعلى الرغم من عزوف غالبية الناس عن النظر في الملكوت ولكن الله سبحانه ولرحمته في الخلق لم يغلق بابه عليهم، بل هو مفتوح لهم إلى اليوم الموعود وهو يوم القيامة الصغرى ليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، فهذا العزوف وهذا الجحود لا يستمر هكذا لا بد له من

١- الأنعام: ٧٥ - ٧٩.

٢- الأنعام: ٣٢.

حد تصل إليه البشرية لتحصد ثمار هذا الجحود، ولكي تتم الحججة على الناس يبعث الله سبحانه فيهم رسلا مبشرين ومنذرين، يبشرون من ينظر إلى ملكوت الله ليعرف الحق ويؤمن به، وينذرون من أعرض وكذب أن ستكون عاقبة أمره خسراً.

وعلى ذلك جرت سنة الله سبحانه في الخلق حتى وصلنا اليوم إلى الغاية من كل هذا التمهيدي وتحفيز الناس للنظر في الملكوت، فهذا اليوم هو يوم الله الأكبر يوم قيام دولة العدل الإلهي وبهذه الدولة يستبين للناس أن الدعوة للنظر إلى الملكوت ليست خالية من غاية عظيمة بل هي دعوة لاستبانة أمر عظيم، ووحى عظيم، وهذا الأمر العظيم هو استحالة هذا العالم الذي لم ينظر له الله سبحانه منذ خلقه إلى صورة من عالم الملكوت ليكون تحت نظر الله سبحانه وينتشر التوحيد فيه على كل بقعة من بقاعه حتى لا يسمع في أرجاء المعمورة غير النداء السماوي بالشهادات الإلهية الثلاث:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن علياً ولي الله، فهذه الشهادات الثلاث يكون هذا العالم صورة لذاك العالم القدسي الطاهر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١)، ولا بد لظهور الدين الإلهي من هيمنة عالم الملكوت على عالم الدنيا وتكون الكلمة الفصل له، ولكي تتحقق هذه الغاية وبسبيل الرحمة الإلهية كان اختصاص آخر الزمان وأهله بالانفتاح على عالم الملكوت، والسير إليه بأوضح السبل وأبينها لعموم الناس وهو سبيل الرؤيا، وإلا فالسبيل إلى الله سبحانه - كما يذكر أهل البيت عليهم السلام - هي بعدد أنفاس الخلائق.

ويحاول هذا البحث أن يكون كلمة على هذا السبيل العظيم فيها ما يدل كل طالب للحقيقة بما بينه الله سبحانه في كتابه وبينه الطاهرون عليهم السلام في رواياتهم الشريفة التي لم تقبل لطالب الحق زاوية إلا وأنارتها له ليكون سيره على الصراط مأموناً ولا يتطلب منه غير العزم على السير ومحاربة الأنا التي تشكل المانع الذاتي له من سلوك سبيل النور والطهر، ولأجل هذه المحاولة رسم البحث خطواته في الوصول إلى ما يبتغيه من بيان لأهمية هذا السبيل - أي الرؤيا - ومدى تعلقها بما نحن فيه اليوم، والآيات والفرص الإلهية التي تمر علينا وأمرنا أهل البيت عليهم السلام بانتهازها. قال أمير

المؤمنين عليه السلام: (قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير) ^(١).

واليوم بين ظهرائي الناس فرصة خير تمناها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام بل تمناها حتى آل محمد عليهم السلام حيث ورد عنهم عليهم السلام: (إني لو أدركته لخدمته أيام حياتي) ^(٢)، هذه الفرصة الإلهية الملكوتية هو قائم آل محمد عليهم السلام حلم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بل غاية سعي البشرية منذ آدم عليه السلام، ولذلك به عليه السلام صار يقترب الملكوت من هذا العالم ليرفعه إليه بعد أن ضيع أهل هذا العالم فرص الخير الكثيرة التي أتاحت لهم بالارتقاء ولكنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة.

وخطوات هذا البحث تبدأ من المدخل ثم تنتقل إلى الفصل الأول الذي نظر في الأحلام؛ ما هي؟ وكيف حدثت؟ وما علة حدوثها؟ وما أقسامها؟ وما موضع حدوثها؟ ومن ثم انتقل الفصل الثاني إلى النظر في الرؤيا في القرآن الكريم والكتاب المقدس، والفصل الثالث كان ميدانه البحث في السنة المطهرة الواردة عن رسول الله محمد وآله الأطهار عليهم السلام وكيف عاجلت موضوع الرؤيا، وكيف بينته؟ ثم ختمت البحث بما توصل إليه من نتائج.

أسأل الله سبحانه أن يعم بنفعها القارئ الكريم، وأن يكون هذا البحث بعمومه على ما فيه مما يشوبه من النقص والتقصير فضلاً على القصور إشارة ولو صغيرة في هذا السبيل العظيم سبيل دعوة يماي آل محمد عليهم السلام وقائمتهم الشريد الطريد - بحسب ما وصفه الطاهرون عليهم السلام برواياتهم الشريفة - ولعلي - وأعوذ بالله من الإشارة إلى الأنا - أحرز فيه شيء من القبول لدى سيدي ومولاي يماي آل محمد الإمام أحمد الحسن عليه السلام، وأسأله أن يستغفر لي ربي سبحانه وأن يغفر لي تقصيري وقصوري وأن يدعو لي بالثبات وحسن العاقبة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين وسلم تسليماً كثيراً.

الثامن من رجب المرجب / ١٤٣١ هـ ق

الموافق ٢١ / ٦ / ٢٠١٠ م

الأستاذ زكي الأنصاري

١- نهج البلاغة: ج ٤ ص ٦.

٢- كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

مدخل:

إن البحث في الأحلام هو لا شك في أنه بحث في ساحة الملكوت وليس في ساحة الملك، والدافع لهذا البحث هو محاولة لإعادة الناس إلى ساحة الملكوت (عالم الطاعة) بعد ما بدا من الناس إعراض عنه وانشغال بعالم الملك وكأنه هو العالم الذي لا عالم فوقه، فراحت الناس تنشط في طلب المعرفة في هذا العالم وقصرت همتهما عليه فغفلت البشرية بسوادها الأعظم عن حقيقة مفادها؛ أن كل ما في أيديها من العلم والمعرفة إنما كان مصدره عالم الملكوت، وإنما عالم الملك هو فرع قائم بذاك الأصل أي أن عالم الملك قائم بعالم الملكوت، ولولا عالم الملكوت لعاد عالم الملك عدماً وظلمة، فعالم الملكوت هو عالم - إذا صح التعبير - برزخي، أي هو الآصرة التي تربط العالم الأعلى (عالم اللاهوت) أصل المعرفة والوجود، بالعالم الأدنى (عالم الملك)، فلولا الملكوت لانتفت قيمة الملك ولم يعد له وجوداً، وإنما وجد الملك بالملكوت فهو سبيله إلى اللاهوت، ومنه تترشح المعرفة التي هي غاية الخلق والوجود حيث قال **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**^(١) أي ليعرفون - بحسب ما ورد عن الطاهرين آل محمد **ﷺ** -، ومعرفة الغيب يستحيل تحصيلها من الملك حسب؛ لأن معرفة الملك هي فرع لأصل، وانعدام الأصل بالضرورة يعني انعدام فروعه، فلا بد من معرفة الغيب بالغيب، وهناك أمر آخر ينبغي الإلفات إليه وهو؛ الغيب في عالم الملك دال على كل ما غابت صورته عن هذا العالم هذا في عمومته، والملكوت (هو عالم الصورة أي العالم الذي يكون السمع فيه مندرساً بالرؤيا)، وهو بهذه الخصيصة يكون نقيض عالم الملك حيث أن الصورة فيه تكون تالية للسمع، والسمع سابق عليها بل أن السمع هو من يرسم الصورة في الذهن وإذا ما حضرت صورة الشيء يعمد الإنسان إلى المطابقة بين ما ارتسم من السمع في ذهنه وبين ما حضر أمام عينه وهنا ساحة فراغ بين التصور الحاصل في الذهن نتيجة السمع وبين الصورة الواقعية، من الذي يملأ ساحة الفراغ تلك ليتوضح أن ما فيها معرفة حقيقية أو وهمية، فالساحة تلك هي ساحة الشك، إما أن يملأها وهم المخلوق فيكون التصور حاكم على صورة الواقع ومن ثم تكون الصورة الواقعية بمحل اتهام ومراقبة دائمة حتى تثبت أهليتها بمطابقتها للتصور، وهذا يتطلب من الصورة الواقعية مداهنة التصور والتعلق له ومن غير ذلك فلا وفاق ولا اتفاق، أو تملؤها الصورة الواقعية وذلك من خلال شهادة

المللكوت عليها وهو عالم الحقيقة المقابل لعالم الوهم القائم في ذهن الإنسان، فيرى تلك الصورة التي حضرت أمامه في عالم الملك من خلال حقيقتها في عالم المللكوت فتهيمن تلك الصورة المللكوتية على تصوراتها وتعمل على تنظيمها على وفق مرادها فيعرف الإنسان من خلال ذلك العمل للصورة المللكوتية ما معنى الطاعة، وما الحاجة إليها، وغايتها؟؟

فالغيب الدال على غياب رؤية الصورة واقع في دائرة الغيب؛ لأنه مما غاب عن عالم الشهادة، ولكن هناك أيضاً غيب أرقى من غيب المللكوت هو غياب الصورة في الوعي، حيث يندرس السمع والبصر في القلب فيكون حضور النص (الكلمة) كافياً لحضور المعرفة، وهذه المرتبة يسميها الإمام الصادق عليه السلام مرتبة الرسوخ في الإيمان التي عندها لا تكون الرؤيا هي طريق معرفة الحق وعندها ترفع الرؤيا من ذلك الإنسان، ذاك أن بدء المعرفة كان بالكلمة ووعاء الكلمة هو القلب - أو بحسب ما يسميه القرآن الفؤاد -، فالفؤاد كان حجاب الخلق الأول الذي من خلاله تكون المعرفة ولم يكن في هذا الحجاب حاجة للبصر أو السمع، ذاك أن حضور الكلمة فيه كان كحضور الماء في الوعاء، وفي عوالم التنزيل احتاج الوعاء إلى وسيلة أخرى للمعرفة فكان البصر في عالم المللكوت، ومع النزول إلى هذا العالم احتاج الفؤاد أن تكون لديه وسيلة أخرى للتعريف وهي السمع، فصار السمع في هذا العالم الملكي سبيل ناقل لمعرفة الصورة المتكونة في الحجاب الثاني وهو البصر، والبصر ناقل لمعرفة صورة الكلمة المظهرة للحقيقة المتشكلة في الوعاء (الفؤاد)، والفؤاد هو حامل الكلمة بظهورها النصي، بمعنى أن للكلمة مراتب ثلاث - بحسب ما أفهم -:

المرتبة الأولى: وجود إشاري دال على الغيب المطلق فكانت (هو).

والمرتبة الثانية: حضور ذاتي دال على الوجود فكانت (الله) الاسم الجامع لكل صفات الكمال ومنه تترشح الصفات والأسماء، وهذه الأسماء والصفات إنما كانت لتعرف بالفاعل ولحاجة القابل لهذا التعريف، ولولا ذلك لما عرف الله سبحانه، وفي هذه المرتبة يتبين معنى قول آل محمد عليهم السلام، قال الإمام علي عليه السلام: (.... إياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء، فإنه رب تنزيل يشبه كلام البشر وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئاً من أفعال البشر، ولا

يشبه شيء من كلامه كلام البشر، فكلام الله تبارك وتعالى صفته وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضل^(١).

والمرتبة الثالثة: حضور الكلمة حضوراً فعلياً، ويكون حضورها الفعلي بحضور القرآن الناطق أي الحجة الناطق على الخلق، فهو كما يقول الإمام الصادق عليه السلام هو الدين: (... ثم إنني أخبرك أن الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله ودينه ومن جهله جهل الله ودينه وحدوده وشرايعه بغير ذلك الإمام كذلك جرى بان معرفة الرجال دين الله والمعرفة على وجهه معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله ويوصل بها إلى معرفة الله فهذه المعرفة الباطنة الثابتة بعينها الموجبة حقها المستوجب أهلها عليها الشكر لله (...)^(٢)، وحقيقة هذه الكلمة الفعلية المتجلية في عالم الملك لا يمكن أن تعرف معرفة نافعة إلا في الملكوت حيث يتبين شيء من حقيقتها.

إذن، فالغيب عوالم ومراتب في العوالم، فالملكوت يعد غيباً لعالم الملك، والجبروت يعد غيباً لعالم الملكوت، واللاهوت يعد غيباً لعالم الجبروت، واتصاف تلك العوالم بالغيب؛ لأن كل عالم منها محجوب عن العالم الآخر، وهذا الحجاب هو حجاب الهيمنة - إذا صح التعبير -، فعالم اللاهوت محجوب عن عالم الجبروت بهيمنة الأول على الثاني، وهكذا فيكون بذلك الأعلى غيباً للأدنى ويكون الأدنى محكوماً بالأعلى فيصح وصف كل العوالم العليا بالغيب؛ لأنها جاءت من الغيب الحق وهو الكنه والحقيقة، هذا من جهة ومن جهة أخرى يكون كل عالم واسطة بين الأدنى والأعلى، فيكون عالم الملكوت واسطة بين عالمي الملك والجبروت، والجبروت حلقة ارتباط بين اللاهوت والملكوت، واللاهوت حلقة وصل بين الجبروت والكنه والحقيقة، ومن ثم فإتصال اللاهوت بالملك ممتنع بغير وجود الملكوت، ومن هنا كان وجود الملكوت أمراً بالغ الأهمية لوجود عالم الملك، فهو باب فيض اللاهوت - إذا صح التعبير - وأهميته تستبين من جهتي الوجود وهي؛ جهة نزول، وجهة المعرفة وهي جهة صعود، ومن هنا نلاحظ أن للرسائل الإلهية جهتين الأولى؛ جهة تنزيل - أي وجود -، والثانية؛ جهة تأويل - أي معرفة -، ومفردة التنزيل دالة على

١- التوحيد للصدوق: ص ٢٦٤، البرهان: ج ١ ص ٤٦.

٢- بصائر الدرجات للصفار: ص ٥٤٩.

حصول المرحلة بالنزول، أي أن أمر النزول لم يحصل مباشرة بل حصل بالواسطة لذا أطلق عليه تنزيلاً، وكذلك التأويل أي الارتقاء لا يكون كذلك مباشرة بل لا بد من واسطة تعيد التنزيل إلى موثله ومصدره، بل وتعيد كل شيء إلى مبدئه الذي أنشأه.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١)، فعمل طي السماء هو دال على طي عالم الملكوت بوصفه باب المعرفة، وطيّه يعني بدهاءه فناء عالم الملك؛ لأنه بطي السماء يعود الوجود (عالم الملك) عدماً وظلمة لا نور فيه.

ولذا من اللافت أن لدى أهل المسيحية وصف لدولة العدل الإلهي فهم يسمونها (دولة ملكوت الله)، وهذا الاسم لم يأت هكذا اعتباطاً بل أخذوه من بشارته نبي الله عيسى عليه السلام عندما بشرهم باقتراب ملكوت الله، وهو دال دلالة واضحة إلى أن هذه الدولة ستقوض ما بنت عليه البشرية معرفتها من هيكل معرفي استند إلى الوهم الذي صيروه قانوناً، وهذا الوهم يقول: (إن المادة لا تفنى ولا تستحدث ولا تخلق من العدم)، لتشيد مكانه هيكلًا معرفيًا حقيقياً مفاده أن (المادة عدم قابل للوجود) وإنما أصل الوجود هو الغيب، ومن ثم فاستلام المعرفة يكون من الغيب كما كان الوجود من الغيب، وما هذا العالم - أي الملك - إلا مظهر لأثر عالم الملكوت، فهو عالم الأثر - إذا جاز التعبير - ومعلوم أن وجود الأثر - بدهاءه - لا بد أن يكون دالاً وليس مدلولاً، فمن يا ترى المدلول عليه؟؟ أي أن عالم الملك هو بواقعه أثر لعالم الملكوت والملكوت أصله، فعالم الملك هو منطوق بالملكوت بالضرورة ومنه يكون استلام المعرفة.

ولو نظرنا إلى منهج المعرفة لوجدنا فيه؛ الصورة سابقة على الوصف وليس العكس، بمعنى لا يكون هناك وصف من دون أن تكون هناك صورة، وهذا حاصل حتى في عالم الملك على مستوى الفكر، فالذي يكتب شيئاً إنما هو يحاول أن يستظهر صورة حدثت له في فكره وهذه الصورة اصطلاحاً عليها بـ (التصور) وليس كشفاً القول أن التصور - كما يسميه المناطقة - هو مرحلة بدائية في التفكير، ومعنى بدائية أي هي الأصل والمبدأ وإليها يستند عمل الفكر ولولاها ما

استطاع الفكر البشري أن يترقى في مراتب المعرفة، وهذه الرتبة من المعرفة؛ أي ارتسام الصورة في الفكر لها جهتان: جهة أصل وأخرى فرع عليها.

أما الأصل فهي ما يتلقاه الإنسان من الملكوت، وهذا التلقي ليس للإنسان فيه يد سوى التوجه، بمعنى أن مرحلة التلقي من الملكوت يكون دور الفكر البشري فيها مستلماً وحسب، ومن ثم واصفاً لما استلم بالكلمات، وجهة فرع مستمدة من تلك الطاقة الملكوتية يكون الفكر البشري فيها فاعلاً بإيجاد صور استناداً إلى ما تلقاه من الملكوت، فعالم الصورة هو عالم الملكوت، وكذلك هناك ملحظ آخر وهو؛ إن المعرفة بالصورة أكبر وأكثر إحاطة من المعرفة المتحصلة من خلال الوصف بالكلمات؛ لأن المعرفة بالصورة هي معرفة محكمة لا يُزاد فيها شيء ولا يُنقص منها شيء، بينما الوصف للصورة بالكلمات يجعل الصورة في ذهن المتلقي متشابهة بمعنى إنها تتعرض للزيادة والنقصان بحسب ما يرتسم منها في ذهن المتلقي، وما يمكن تحصيله مما تقدم أن المعرفة بالصورة أحكم من المعرفة بالوصف، وما يقع في الفكر البشري هو إما صورة متلقاة من الملكوت موصوفة أو تصور يكون دور الفكر البشري فيه هو الفاعل في تصنيعه من بقايا آثار الملكوت لديه، بمعنى أن المعرفة الأصل هي من الملكوت، وما ينتجه الفكر هو عملية تصنيع لآثار باقية لتلك الصور التي تلقاها من الملكوت تخرج على هيئة تصورات، فعملية وضع القوانين والأنظمة هي ليست من مبتكرات الفكر البشري بل هي من رشحات الصورة الملكوتية التي تلقاها، وما علق في ذاكرته منها، فالإنسان مجبول على النظام والتقنين تكوينياً، وهذا الجبل هو الذي شكل دافعاً في البحث عن القوانين والأنظمة كي يصيرها واقعاً فعلياً، ولكن لشدة انهماكه وانشغاله بتفعيل هذا الدافع غفل عن الجهة التي تزوده بما يعينه على كشف أنظمة الأشياء، وهذه الغفلة ازدادت مساحتها حتى جعلته ينقطع عن مصدر العطاء فترك المجال لإرادته المفتقرة في لعب دور التنظيم والتقنين، وحتى هذا الدور وإن توهمت إبداعها فيه ولكن في حقيقته دال على ما فيها من آثار ملكوتية قامت على إعادة صياغتها على وفق ما تتوهم ولذلك في غالب الأحيان تكون الصورة مشوهة وتعاني الخلل.

ما يريد البحث بلوغه في هذا المدخل هو بيان كون الأحلام حدثاً معرفياً صورياً منقولاً من عالم الغيب لتعريف الإنسان بأهمية استدامة الاتصال بالغيب وسبل التواصل معه هذا من جهة، ومن جهة أخرى وهي الأهم تعريفه بالمبعوث (المعلم) الحامل للمعرفة الحق، والمكلف بتبليغها له،

فالأحلام هي صورة لمثال النور أي مثال الكلمة، وهذه الصورة تعكس حقيقة المعرفة ومنبعها الذي على الإنسان أن يتوجه إليه طلباً لسد النقص والخلوص من الافتقار والحاجة، ومن ثم طلباً للكمال بأن يكون هو الصورة الملكوتية للمثال، وبلوغ هذه الدرجة هو المراد من وراء إحداث الأحلام، ذاك أن الإنسان في هذا العالم حجب بعدد من الحجب عن عالم الملكوت: كحجاب الجسد المادي، وحجاب الشهوة، وحجاب الغفلة، وحجاب المعاصي، وهذه الحجب بمجموعها تشكل عقبات أمام وصول الصورة الملكوتية إلى النفس الإنسانية على وفق ما تم بثها من الملكوت، وبالعكس تزداد هذه الصورة وضوحاً إذا ما كان المرء منشغلاً عن الالتفات إلى هذه الحجب، ومتعلقاً بالغيب والملكوت، حيث ورد عن نبي الله عيسى عليه السلام أنه قال - ما معناه -: (الذي من الله يسمع كلام الله)، ولعل الفهم النافع لهذا القول هو إن الذي انشغل بالغيب وعشا عن كل ما سواه وقصر نظره عليه سوف يكون سامعاً لكلام الله سبحانه، فالله سبحانه لا زال متكلماً منذ أراد أن يُعرف، وظهر بكلمته التي خلق الخلق بها وعرفها للخلق وبها عُرف.

فالأحلام - والمعني هنا التي من الملكوت - هي صوت الله سبحانه النازل إلى هذا العالم المعرف للمخلوق بنفسه وبربه، ولذلك ورد عن الطاهرين آل محمد عليهم السلام قولهم: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ^(١)، ومعرفة النفس لا تكون إلا برؤية صورتها، وهذه الصورة لا يعكسها إلا الملكوت بوصفه العالم المهيمن على تلك النفس، وبهذه الصورة المعرّفة بالنفس يشرع العبد بمعرفة ربه سبحانه، وهذه المعرفة لا تتم إلا بوسائط الاتصال بالغيب التي منها الأحلام.

* * *

الفصل الأول

- الأحلام؛ ما هي؟
- وكيف حدثت؟
- وما علة حدوثها؟
- وما أقسامها؟
- وما موضع حدوثها؟

المبحث الأول:

العلم؛ ما هو (لغة واصطلاحاً)؟

الأحلام - بوصفها الوجودي - هي أمرٌ محدث، وهي من الكلمة (النص) الأمر المحدث أي المظهر للكنز المخفي بحسب ما ورد في الحديث القدسي: (**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لا عرف**)^(١)، فهي فرع من الأصل أو هي - إذا صح التعبير - كلمة الله سبحانه باعتبارها الملكوتي، وبوصفها حدثاً فهذا يدل على أنها تحمل مكنون علم خفي ظهر بالإحداث كما هي الكلمة تعد حدثاً؛ لأنَّ بها تجلّى الكنز المخفي، وهي من جهة ارتباطها بالكلمة المظهرة للكنز فهي تعبير عن السعة والإحاطة، ومن جهة تعلقها بالمخلوق فهي تعبر عن بلوغه مقام العقل أي السماء السابعة الكلية وهذا المقام يجعل أفقه المعرفي واسعاً ومحيطاً بما دونه، وما دونه عالماً؛ الملكوت والملك.

والأحلام - بوصفها الوجداني - هي ما يراه النائم في الملكوت؛ لأن هذه الرؤية هي رؤية بصيرة وليست رؤية بصر، وهناك من يصف العقول بالضعف والأحلام بالسفه، وهذا الوصف يدل على أن العقل هو وعاء القوة، والأحلام وعاء الحكمة، فلا يوصف بالسفه إلا أن يكون وعاء للحكمة وخلو الوعاء مما جعل له يسمى سفهاً، أو امتلاؤه بما ليس له، كذلك يسمى سفهاً.

ولعل من النافع الالتفات إلى أن الله سبحانه أعطى الإنسان قدرة عظيمة على عكس صورة الملكوت في النوم، وعكس صورة الملك في اليقظة وهذه القدرة تدعى الوهم (الفكر) وهذه القدرة لها الإمكانية على الإبداع والمحاكاة، فما يكون من إبداعها يسمى أسطورة أو خرافة أو ما إلى ذلك من المسميات الدالة على أن هذا الواقع المصنوع هو واقع وهمي، وما كان محاكاة وهو مدار بحثنا فيكون على مرحلتين هما؛ الأولى: بدائية وتسمى التصور، حيث ينطبع على صفحة الوهم صورة غير مكتملة يقوم الوهم بإكمالها من عندياته أي بما أوتي من قدرة على الخلق والإبداع، ولذا فالتصور يكون - إذا جاز التعبير - بوجوده الأصل هو انعكاس غير تام لواقع خارجي،

وبتجسده على صفحة الوهم يكون صورة مكتملة اشترك في صنعها الواقع الخارجي وقدرة الوهم على التجسيد بشكل يبدو كاملاً.

والمرحلة الثانية: هي أقرب إلى الكمال والتمام، وتسمى التصديق، حيث ما ينطبع على صفحة الوهم (الفكر) هو صورة الواقع المشاهدة في عالم الملك عند اليقظة والواقع المشاهد في الملكوت في النوم وتأتي الصورة فيه مكتملة لا تحتاج سوى أن يترجمها الرائي إلى ألفاظ يصف فيها ما انطبع في فكره من صورة الواقع الملكي في اليقظة، أو من صورة الملكوت في المنام، وبما أن البحث يعنى بالحديث عما ينطبع من صورة في المنام لذا فسيكون الحديث عنها تحديداً دون النظر إلى مسألة الصورة الملكية، ولو أن ما يصدر عن الإنسان الرائي سواء في فضاء الملك أو في فضاء الملكوت هو في واقعه شهادة، واعتماد شهادة المؤمن العادل في عالم الملك وقبولها يستلزم اعتمادها وقبولها في عالم الملكوت، ذاك أن الصورة القادمة من عالم الملكوت لا يحتمل أن تكون صورة مموهة أو غير حقيقية على العكس من الصورة المرئية في عالم الملك فقد تكون صورة مموهة ومصنوعة وغير حقيقية، فاحتمال تزيف الصورة في عالم الملك ممكن جداً، وممتنع تماماً حدوثه في عالم الملكوت؛ لأن عالم الملكوت هو عالم لم يعص فيه الله سبحانه طرفه عين فهو عالم للطاعة، أما عالم الملك فهو عالم لم يعص الله سبحانه إلا فيه حيث ورد عن أمير المؤمنين (ص) أنه قال **(من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها)**^(١)، فكان سبيل الهداية والمراقبة والنظر إليه بالواسطة أي بواسطة الحجج المعصومين الذين نصبهم الله سبحانه خلفاء له كي تستبين بالتمسك بهم الطاعة ويكونوا شهداء على الناس.

قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾**^(٢).

لذا فالأحلام هي تعبير عن قدرة النفس الإنسانية على التكامل وردم هوة الحجاب المادي الذي أعاقها عن التواصل مع عالم النشأة الأولى، حيث أنها تعبر عن استدامة الذكر والاتصال

١- نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٤ - ص ٩٢.

٢- البقرة: ١٤٣.

بعالم الملكوت، فالذكر باليقظة في الغالب يكون متوجهاً إلى عالم الملك بانشغال المرء وانشغاده إليه، أما في المنام فمن الطبيعي أن ينقطع التواصل في حالة النوم؛ لأن النفس في النوم تخرج عن ساحة الإرادة البشرية، ولذلك من رحمة الله وكرمه على النفس المنشغلة بذكر الغيب في اليقظة أن يكرمها بدوام الذكر في المنام، فيكون الذكر في اليقظة علماً، وفي المنام يكون حلاًماً، فالعلم والحلم شيان متلازمان حتى كأنه لا انفكاك بينهما في ساحة المعرفة، فكلاهما يعدان قوس المعرفة، فالعلم هو فيض المعرفة النازل من الملكوت، والعلم هو هوية ذلك الفيض في هذا العالم وتجليه وظهوره، فالعلم يعد شاهداً للعلم كونه ظهور خبر الملكوت، والعلم هو من يثبت الحلم ويعطيه سمة الحجية.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه بعد الفراغ من صلاة الصبح كان يلتفت إلى أصحابه ويسألهم: **(هل من مبشرات؟؟)**، فإذا أخبر ﷺ سعد؛ لأنه نقل له خبر الملكوت؛ لأن في ذلك دلالة على نجاح المعلم في تربيته لرعيته وتهيتهم كي يكونوا محلاً طاهراً لقدس الله سبحانه ينزل فيه ملائكة الرؤيا آمنين مطمئنين، ولعل في هذا الأمر ما يبين أن من مهام الرسول ﷺ أن يوثق العلاقة بين عالمي الملكوت والملك بوصف الأول أصل الثاني والثاني فرع عليه، وانقطاع العلاقة والتواصل يؤدي إلى تيبس الفرع وموته، وعقم الأصل وتعطيل غاية وجوده، فغاية وجود الملكوت - بحسب ما أفهم - أن يكون ناقلاً للمعرفة الحق التي استمدتها من أعلاه إلى أدناه، فعالم الملكوت هو حلقة ربط وآصرة تواصل بين العوالم العليا وعالم الدنيا.

وإذا لم يخبره أحد منهم برؤيا يستبين عليه أثر الحزن ﷺ ويقول لهم: **(أنفا كان عندي حبيبي جبرائيل عليه السلام وأخبرني أن ما يمنع الملائكة من النزول عليكم وجود التفث بأيديكم.** "أي القدر لطول الأظافر وما يكون تحتها من الوسخ")، ذاك أن ملائكة الرؤيا عندما يبعثون فهم يبحثون عن محل طاهر ينزلون فيه، وإشارة الرسول ﷺ للتفث المادي هي كذلك إشارة للتفث المعنوي - إذا صح التعبير -، ووجود التفث هو تعبير عن ضياع جهود المعلم المرئي، ومن ثم يعد ذلك مبعث حزنه وهمه؛ لأن ضياع الجهود وعدم تلقي الأتباع يشعر النبي ﷺ وكأنه قصر في أداء مهمته - وحاشاه من ذلك - ومن ثم فهو يطالب أصحابه، وهو بذلك يطالب كل الذين يدعون أتباعه والإيمان به أن يكونوا محل قدس الله، وساحة تواصل مع الملكوت ليكونوا أوعية المعرفة الحق.

فالأحلام هي وسيلة لمعرفة الغيب بالغيب، وهي باب الحكمة، وكونها حكمة هو دلالة للرأي يميز به ما كان من الرحمن، عما يداخله من الشيطان (لعنه الله) وهو لا يكون سوى سفه، بمعنى رموز رؤيا الملكوت دالة على الحكمة وتكون واضحة كفلق الصبح، حتى وإن حاول الشيطان (لعنه الله) أن يمويه تلك الرموز بما يلقيه في طريق النفس وهي عائدة من ملكوت الله.

فالشيطان (لعنه الله) هو قاطع طريق الله، فإذا لم ينجح في قطع طريق النفس عند عروجها، كي يأخذها إلى ساحته ويربها ما يحزنها أو يثبطها ويجعلها تكسل بفعل ما يُربها من صور لا تدل إلا على السفه، وتبعث على الحيرة، أو إذا تمكنت من الإفلات منه بالصعود يقطع عليها طريقها وهي عائدة محملة بعطاء الله ومعرفته فيحاول الإلقاء فيما تحمل ليلبس عليها أو ليحزنها، كما فعل مع السيدة الزهراء عليها السلام حيث ورد:

تفسير علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾^(١) حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (كان سبب نزول هذه الآية أن فاطمة عليها السلام رأت في منامها أن رسول الله ﷺ هم أن يخرج هو وفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة، فخرجوا حتى جاوزوا من حيطان المدينة فتعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين حتى انتهى بهم إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله ﷺ شاة كبراء وهي التي في إحدى أذنيها نقط بيض، فأمر بذبحها فلما أكلوا ما توا في مكانهم، فانتبهت فاطمة باكية ذعرة فلم تخبر رسول الله ﷺ بذلك. فلما أصبحت جاء رسول الله ﷺ بحمار فأركب عليه فاطمة عليها السلام وأمر أن يخرج أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة كما رأت فاطمة عليها السلام في نومها. فلما خرجوا من حيطان المدينة عرض له طريقان، فأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين كما رأت فاطمة عليها السلام حتى انتهوا إلى موضع فيه نخل وماء فاشترى رسول الله ﷺ شاة كبراء كما رأت فاطمة، فأمر بذبحها فذبحت وشويت فلما أرادوا أكلها قامت فاطمة وتنحت ناحية منهم تبكي مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله ﷺ حتى وقع عليها وهي تبكي، فقال: ما شأنك يا بنية؟ قالت: يا رسول الله [إني] رأيت كذا وكذا في نومي وقد فعلت أنت كما رأيته فتنحيت عنكم فلا

أراكم تموتون. فقام رسول الله ﷺ فصلى ركعتين ثم ناجى ربه، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد، هذا شيطان يقول له الدهار، وهو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا ويؤدي المؤمنين في نومهم ما يغمون به، فأمر جبرئيل فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنت أريت فاطمة هذه الرؤيا؟ فقال: نعم يا محمد، فبزق عليه ثلاث بزقات، فشجّه في ثلاث مواضع. ثم قال جبرئيل لمحمد: قل يا محمد إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه، أو رأى أحد من المؤمنين، فليقل: أعوذ بما عازت به ملائكة الله المقربون وأنبياءه المرسلون وعباده الصالحون من شر ما رأيت ومن رؤياي، وتقرأ الحمد والمعوذتين وقل هو الله أحد وتتفل عن يسارك ثلاث تفلات، فإنه لا يضره ما رأى، وأنزل الله على رسوله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ - الآية - (١).

فهذا الإلقاء يسمى (نجوى)، ولكن هذه النجوى سرعان ما تنكشف وتزول بسبب وجود العاصم وهو رسول الله ﷺ، وهذه البزقات الثلاثة التي شجّه بها في ثلاث مواضع - لعلها - الجهات التي يأتي منها الإنسان، وهي؛ من أمامه، ومن خلفه، وعن شماله، أما الجهة الرابعة وهي يمينه فهي جهة لا طاقة للشيطان (لعنه الله) عليها، لأنها جهة الإيمان وهي جهة محمية بالله سبحانه والله جلت قدرته، وهذه البزقات الثلاث هي بمثابة التحصين للمرء من جهاته الثلاث التي يمكن للشيطان أن يراوده منها، وحتى الذكر يبين ذلك، فكأن قراءة سورة التوحيد لتحصين جهة الوجه، والمعوذتان لتحصين الشمال والخلف.

ومن هذه الرواية الشريفة يستبين أهمية وجود العاصم في كل زمان من جهة، ومن جهة أخرى هي بيان لمصداق العاصم فلا أحد يستطيع أن ينسخ إلقاء الشيطان إلا الله سبحانه، والله سبحانه ينسخه بحجته على الخلق حيث يكشف الإلقاء ويفضح مخططات الشيطان ومحاولاته لقطع السبيل بين العباد وربهم سبحانه، ومن ثم فالعاصم هو حجة الله في كل زمان أيضاً، فوجود العاصم في كل زمان يقطع على الشيطان (لعنه الله) تدبيره ويفضح محاولاته في تشكيك الناس بالملكوت وعطائه، وكذلك حتى مع العاصم يفتضح عمل الشيطان (لعنه الله) فمهما حاول أن يلقي فإلقاؤه مفضوح؛ لأنه سفه والسفه لا يشاكل الحكمة أبداً ولا يجتمعان في محل واحد إلا افتضح السفه فضيحة لا سبيل لتغطيتها.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ^(١)، فأيات الله سبحانه آيات حكمة وما أبعد الشيطان (لعنه الله) من الحكمة فكل ما يأتي به هو السفه، ولذلك هو لا يستطيع مع حجج الله سيلاً؛ لأنهم ﷺ وعاء الحكمة ولا مجال للسفه - وحاشاهم - في أوعيتهم الطاهرة، وكذلك لا سبيل له على المؤمنين بوجود العاصم في كل زمان وهو حجة الله الذي ينفي خبث السفه الذي يحاول أن يلصقه الشيطان بنور الحكمة النازل من الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ثُمَّ لَا تَبْتَلُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ^(٢)، ومن هنا نفهم معنى ضرورة وجود العاصم والحجة في كل زمان، وقبح خلو الزمان من حجة، فلو خلا الزمان من حجة لساخت الأرض بأهلها ! لماذا ؟ لأنها بخلوها من العاصم ستموج في بحر الجهل والظلمات ويتسلط عليها إبليس (لعنه الله) ويقطع سبيل تواصل العباد مع ملكوت الله سبحانه.

[والحلم (بضم الحاء واللام) - لغة - هو ما يراه النائم (الصحاح للجوهري: مادة؛ حلم)، وقال الزبيدي: الحلم، بالضم وبضممتين: الرؤيا، وعلى الضم اقتصر الجوهري، وقال: هو ما يراه النائم. قال شيخنا: فهما مترادفان، وعليه مشى أكثر أهل اللغة، وفرق بينهما الشارع فخص الرؤيا بالخير وخص الحلم بضده، ويؤيده حديث: الرؤيا من الله والحلم من الشيطان. وقد أوضح الفرق بينهما صاحب حاشية المواهب في الأوائل. قلت: ويؤيده أيضاً قوله تعالى: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ وحلم به، وحلم عنه، وتحلم عنه: رأى له رؤيا، أو رآه في النوم. وفي المحكم: أي رآه في النوم. وقال الجوهري: حلمت بكذا وحلمته أيضاً، وأنشد:

فحلمتها وبنو رفيده دونها *** لا يبعدن خيالها المحلوم

انتهى.

والحلم، بالكسر: الأناة والعقل، وقيل: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، ج: أحلام وحلوم. قال ابن سيده: وهو أحد ما جمع من المصادر، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾^(١). قيل: معناه عقولهم وليس الحلم في الحقيقة العقل، لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل، وفي الحديث: "ليليني منكم أولو الأحلام والنهي أي: ذوو الأبواب والعقول، وقال جرير:

هل من حلوم لأقوام فتندرهم *** ما جرب الناس من عضبي وتضريسي؟

وهو حلیم كأمير، ومنه قوله تعالى: ﴿... إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(٢). قيل: إنهم قالوه على جهة الاستهزاء. ج: حلماء وأحلام ككرماء وكریم وشهيد وأشهاد، وقد حلم، بالضم، حلماء: صار حلیماً، قال ابن قيس الرقيات:

مجرب الحزم في الأمور وإن *** خفت حلوم بأهلها حلما

وتحلم الرجل: تكلفه، أنشد الجوهري:

تحلم عن الأدينين واستبق ودهم *** ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

الحليم: في صفات الله تعالى: الذي لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منته إليه.

وتحلم: تكلف الحلم، ومنه الحديث: "من تحلم ما لم يحلم كلف أن يعقد بين شعيرتين".

يقال: تحلم: إذا ادعى الرؤيا كاذباً..... وتحلمت القرية: امتلأت، وحلمتها: ملأها^(٣).

فالحلم بحسب ما بينته معاجم اللغة هو دلالة امتلاء، والإنسان يمتلئ وعاءه النفسي عند نومه، ولا امتلاء وعائه جهتان؛ جهة علوية وهي جهة الملكوت وما يفيض منها في وعاء النائم - أي نفس الإنسان - هو الحكمة والمعرفة، وجهة سفلية وهي إما أن تكون؛ من إملاءات الشيطان

١- الطور: ٣٢.

٢- هود: ٨٧.

٣- تاج العروس - للزبيدي: مادة حلم.

(لعنه الله) ولا يملي - أخزاه الله - غير السفه والتنكيل والتحزين، أو من حديث النفس، وحديث النفس لا يخرج عن متعلقات العالم المادي وما يشكل عامل قمع لها فيه فتحاول في النوم التنفيس عن رغباتها ومرادتها التي يجمعها الواقع أو لا يرتضيها، فيشكل لها النوم مساحة التنفيس، وما تراه النفس على وفق ذلك خال من المعرفة والحكمة، فبوجود المعرفة يسقط حديث النفس، وبوجود الحكمة يسقط إملاء الشيطان، وبوجود المعرفة والحكمة تثبت حجية الرؤيا وتستبين. والفارق بين رؤيا الملكوت وحديث النفس هو أن الصورة المرئية في الملكوت هي صورة لواقع معرفي حقيقي ويمثل واقعاً خارجياً تمثيلاً كاملاً تاماً، أما حديث النفس فهو صورة مصنوعة لواقع لا وجود له إلا في ذهن الرائي، ولذلك فالصورة المرئية تكتسب مصداقيتها بانطباقها على واقع خارجي، وإذا لم يكن لهذه الصورة واقعاً خارجياً فهي صورة موهومة ومن ثم فهي حديث نفس.

واستناداً إلى هذا المعنى العرفي الذي تقدمه المعاجم اللغوية لمادة (حلم) يستدل على أن هذا الحدث له علاقة بتكليف النفس الإنسانية وتوجيهها، ويتوقف هذا التوجيه على قدرة المرء على ترجمة هذا الحدث المرئي المسمى بـ (الحلم)، ومن المعلوم أن الترجمة هي نقل للصورة الذهنية المتبقية مما انطبع على صفحة الذهن بعد الاستيقاظ من النوم، وما يجعل الحلم يشد الرائي ويجعله يطلب تعبيره هو خصائص الصورة التي انطبعت بالذهن، ومن تلك الخصائص:

وضوح ملامح الصورة وشدة انطباعها في الذهن.

تشكل تلك الصورة برموز دالة على أنها ناقلة لخبر من واقع خارجي ليس للنفس الإنسانية عليه هيمنة، بل لعل العكس هو الصحيح من كون الواقع الذي زود تلك النفس بالصورة هو من له الهيمنة عليها.

هذه الصورة المحدثة تنقل الرائي باتجاه معرفة كان يجهلها قبل الحلم.

تتيح للرائي إمكان ترجمتها لفظياً بطريقة يصف فيها واقع ما رأى حتى كأن السامع يشارك الرائي فيما رأى.

تشكل الصورة المرئية دافعاً للرائي كي يعرف أثرها على حياته الملكية، وهذه الدافعية هي من تجعله يطلب من يؤول له هذا الحديث.

وما ينفع البحث هو كون المعنى اللغوي المتعارف لدى الناس يكشف عن كون هذا المسمى (الحلم) هو وسيلة ناقلة لخبر ما، من واقع له الهيمنة على الواقع الذي يعيشه الرائي في يقظته، والتفات البحث إلى المعنى اللغوي هو ليضع مقدمة أمام القارئ تيسر له الدخول إلى ساحة الأحلام واستبانة ما هو ناقل للمعرفة منها مما هو غير ذلك، وهذا الأمر سنستبينه من خلال ما يذكره آل محمد عليهم السلام في شأن الأحلام وتصنيفها وبيان ما هو شهادة ملكوت ناقلة لمعرفة حق، وما هو حديث نفس الغاية منه التنفيس عما يحصل من ضغوطات الواقع المادي، أو هو مما لا واقع له إلا في وهم الرائي، وما هو حديث الشيطان الغاية منه تعطيل النفس الإنسانية من التقدم نحو سد نقصها وتحصيل الكمال الذي من أجله خلقت.

وقبل الشروع في تصنيف آل محمد عليهم السلام للأحلام وبيانها لعل من المفيد بيان كيف حدثت الأحلام، وما علة حدوثها؟؟ والإجابة عن هذين السؤالين المهمين بينها علماء الله سبحانه من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

* * *

مبحث:

بيان الأحلام، وكيفية حدوثها، وعلة ذلك؟

قال تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ * ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم مُحدثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشرٌ مثلكم أفتأتون السحرَ وأنتم تبصرون * قال ربِّي يعلمُ القولَ في السماءِ والأرضِ وهو السميعُ العليمُ * بل قالوا أضغاثُ أحلامٍ بل افتراه بل هو شاعرٌ فليأتنا بآيةٍ كما أرسلَ الأولون﴾^(١).

ما هذا الذكر المحدث الذي يستمعه الناس وهم يلعبون؟؟ وما معنى يلعبون؟

لو تدبر متدبر لعرف أن اللعب هنا هو الانغماس في الدنيا والانهماك في طلبها، وقد قال الله سبحانه في وصف الحياة الدنيا: ﴿إنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وإن تؤمنوا وتتقوا يُؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم﴾^(٢)، فيكون الذكر المحدث على ذلك هو ما يعيدهم إلى عالم الحق عالم الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿ونفسٍ وما سواها﴾ * فآلهمها فجورها وتقواها﴾^(٣)، والإلهام هنا التعريف أي عرفها رب العزة سبيل التقوى وسبيل الفجور وترك لها الخيار وتحمل نتائج الخيار.

ورد عن حمزة بن محمد الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وما كان الله ليضلَّ قومًا بعد إذ هداهم حتى يُبين لهم ما يتقون﴾^(٤)، قال: (حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه، وقال: ﴿فآلهمها فجورها وتقواها﴾ قال: بين لها ما تأتي وما تترك، وقال: ﴿إنَّا هديناها السبيلَ إما شاكراً وإما كفوراً﴾^(٥)، قال: عرفناه، إما آخذ وإما تارك، وعن قوله:

١- الأنبياء: ١ - ٥.

٢- محمد: ٣٦.

٣- الشمس: ٧ - ٨.

٤- التوبة: ١١٥.

٥- الإنسان: ٣.

﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(١)، قال: عرفناهم فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون^(٢).

ومن خلال بيان الإمام الصادق عليه السلام للتقوى نفهم أنها مأخوذة من الوقاية أي العمل بشرائط الصحة كي لا يصاب الإنسان بعلّة تعطله عن أداء ما كلف به وخلق من أجله، وهذا يعني أن الوقاية من العلل الروحية أهم وأعظم من الوقاية من العلل المادية الجسمانية، والشرائط التي تقي الإنسان من إصابته بالعلل الروحية وأعظم تلك العلل هي علة الجهل والتكبر هو الدخول إلى حصن الله سبحانه.

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي)، قال: فمرت الراحلة ودنا منا فقال: بشروطها وأنا من شروطها^(٣)، وهذا الشرط اللازم للتقوى وللهداية بينه الله سبحانه لعباده، ومن سبل البيان هو سبيل الأحلام (الرؤى) حيث أنها سبيل ناقل للمعرفة من عالم الملكوت (وهو عالم لم يعص الله فيه طرفة عين).

وهذا الذكر المحدث لاشك في كونه قادم من عالم لا يعصى الله سبحانه فيه مطلقاً، وهذا العالم المهيم على عالم الدنيا هو عالم الملكوت، وهذا يعني أن الذكر الآتي هو آت من هذا العالم المصطبغ بصبغة الله سبحانه وهي الطاعة والتسليم، وقد ذكر ثقة الإسلام الكليني في الكافي: عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: (إن الأحلام لم تكن فيما مضى في أول الخلق، وإنما حدثت. فقلت: وما العلة في ذلك؟ فقال: إن الله عز ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته. فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا فو الله ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزنا عشيرة. فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار. فقالوا: فما الجنة وما النار؟ فوصف لهم ذلك. فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متم. فقالوا: لقد رأينا أمواتاً صاروا عظاماً ورفاتاً، فزادوا له تكديماً وبه استخفافاً. فأحدث الله بينهم الأحلام، فأتوه فاخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك. فقال: إن الله ﷻ ذكره أراد أن يحتج عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متم وإن بليت أبدانكم، تصير الأرواح إلى

١- فصلت: ١٧.

٢- الكافي: ج ١ ص ١٦٣.

٣- الأمالي - الشيخ الصدوق: ص ٣٠٦.

عقاب حتى تبعث الأبدان. قيل: أي كما أن في النوم تنام أرواحكم بما لم يظهر أثره على أجسادكم ولا يطلع من ينظر إليكم عليه، كذلك نعيم البرزخ وعذابه^(١).

فقول الإمام موسى عليه السلام: (فأحدث الله بينهم الأحلام) يدل دلالة واضحة على أن الأحلام هي من الذكر المحدث إن لم تكن هي نفسه، ذاك أن الأحلام - أي الرؤيا في عالم الملكوت - تعد حدثاً مذكراً لأهل الأرض عن حالهم في الامتحان الأول في عالم الدر.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢)، فالنشأة الأولى واقعة في دائرة العلم، وهذا العلم في عالم الدنيا يحتاج إلى تذكير فكان إحداث الأحلام لتكون مذكرة، كما هو بعث الرسل والأنبياء والأوصياء هو لتذكير الناس بحالها في الامتحان الأول وكيف قابلت تنصيب الله سبحانه لخليفة يكون قوله قول الله سبحانه وأمره ونهييه أمر الله ونهييه؟ ولذلك من خلال هذا الامتحان بولي الله عندما يعلن دعوته للناس يصير لزاماً على الناس أن تسأل عن هذا القادم وما أدلته، وبالمقابل يسعى هذا المبعوث الإلهي إلى أن يثبت صدقيته بدعوة الناس إلى سؤال من لا يغشهم ولا تشغله المصالح على حساب الإصلاح على وفق المنهج الإلهي، فنرى المبعوث يؤكد على سؤال الغيب وطلب شهادته.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾^(٣)، وشهادة الله سبحانه للمبعوث طرقها كثيرة منها الرؤيا، بل لعل الرؤيا أوضحها من جهات منها على سبيل المثال لا الحصر؛ كونها ناقلة لصورة ملكوتية، هذه الصورة هي حامل العلم الإلهي، وهذا العلم هو من أركان قانون معرفة الحجة، فالرؤيا تحمل علماً يكون شهادة للمبعوث من جهة، ويكون مبيناً لضرورة وجوده بوصفه الوحيد القادر على حل شفرة الرسالة السماوية بوصفه قادماً منها، وعلى هذا تشكل الرؤيا سبيلاً من سبل المعرفة والهداية، وهذا السبيل يتميز بعموميته وشموليته وعموميته تتبين في كونه لا يقتصر على النخب المجتمعية، بل هو يعم كل الناس بكل طبقاتهم عالمهم ومتعلمهم ومن هو دون ذلك، وشموليته تستبين في أنه يصل إلى كل الخلق لا يعطله اختلاف الألوان أو الألسنة.

١- الكافي: ج ٨ ص ٩٠.

٢- الواقعة: ٦٢.

٣- الفتح: ٢٨.

تعد الرؤيا ناقلاً معرفياً مهماً لكل الناس على اختلاف ألسنتهم، حيث أن الصورة التي يرونها والصوت الذي يسمعونه هو واقع في مساحة فهم كل واحد منهم، ومبين لهم على وفق ما يعرفونه من رموز تيسر لهم المعرفة والهداية، وكذلك هو يبين لهم الواقع الذي سيصير إليه حالهم، وهم أمام هذا الحدث الذي رأوه في الملكوت بالاختيار، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١)، والشكر هو في التصديق والعمل على وفق مراد الملكوت، والكفر هو بالإعراض عما رأى في ملكوت الله، ومن ثم فالإنسان هو من يتحمل مسؤولية تضييع الفرصة التي أتاحتها الله سبحانه له عندما فتح له باب الملكوت وأسمعه كلماته المحكمات، والآية الكريمة أعلاه كأنها استجابة لدعاء العبد ربه الذي حكاه القرآن بقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢)، واستجابة هذا الدعاء يكون بطرق متعددة، منها طريق الرؤيا حيث يتم تعليم العباد الحقيقة في عالم لم يعص الله فيه طرفة عين، ذلك هو عالم الملكوت، عالم الطاعة المطلقة، عالم الأنفس، وهذا العالم يمكن للأنفس أن تبلغه في اليقظة بالكشف وفي النوم بالرؤيا، حيث ترى الأنفس وتسمع بأذن القلب والبصيرة، حيث تستريح الأذن الجسدية والبصر الجسدي، وحتى أن لفظة (شهادة) دالة على أن هناك نظر لصورة ما، كي يصدق إطلاق وصف الشهادة، والشهادة هنا شهادة ملكوتية، أي شهادة محكمة لا سبيل للطعن فيها؛ لأنها شهادة من عالم لم يعص الله سبحانه فيه طرفة عين، فهو عالم المصادقية الكاملة التامة، فضلاً على أن عالم الملكوت سمي بذلك لهيئته على عالم الملك، وهو الوسيط الناقل للمعرفة الحق من العوالم العلوية إلى العالم الدنيوي، حيث ورد عن الطاهرين عليهم السلام أن العالم الدنيوي (لم ينظر له الله سبحانه منذ خلقه)، ولذا لا بد من وجود عالم يقع تحت نظر الله سبحانه يكون له الهيمنة على العالم الذي لم ينظر له الله سبحانه منذ خلقه، ومن دون وجود هذا العالم الوسيط المهيمن يكون العالم الدنيوي منقطعاً وخارج السيطرة، والواقع يقول ليس هناك من خلق لله سبحانه هو خارج سيطرته بل كل خلقه هو تحت سيطرته.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)، كذلك لا بد أن يكون على الأرض ممثل لعالم الملكوت، يستشهد الملكوت ويشهد له الملكوت، وهذا

١- الإنسان: ٣.

٢- الفاتحة: ٦.

٣- الزخرف: ٨٤.

الممثل هو المسمى في كل زمان بأول المؤمنين، وهو القنطرة التي يعبر من خلالها الخلق إلى عالم الملكوت ليروا آيات الله سبحانه ويستبينوا المعرفة الحق، ويتحقق قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

فلولا مبعوث الملكوت ما كان هناك تلاوة لآيات الله التي هي سبيل تعليم الناس نهج التحلي عن مساوئ الأخلاق باكتساب مكارم الأخلاق وتزكيتهم بالتحلي، ويعلمهم الكتاب والحكمة كي يبلغوا الغاية التي من أجلها خلقوا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، ولذا كانت شهادة الملكوت للمبعوث دليلاً من أدلة داعي الحق، ويستبين من خلال هذا الدليل شخصه بوصفه المصدق، وشخصيته بوصفه الحامل للمعرفة الإلهية الحق.

ولولا وجود سبيل لاتصال الخلق بعالم الملكوت لبقيت رسالة المبعوث في حيز الإخبار - الذي يتنازع فيه الناس التصديق والتكذيب - ولسهل على (المغضوب عليهم) أن يطمسوا خبر السماء بالتحايل عليه بالكذب والتزوير والخداع، وشراء الذمم من ذوي النفوس الضعيفة، ولأضحى الحال على الناس شديداً جداً، وعسرت معرفة الحق تماماً، ذاك أن الناس عدوة ما تجهل، وهي لا ترى غير هذا العالم بحكم ملاصقته والعيش فيه، ومن ثم فهي لا علم لها بعالم لا سبيل لها للاتصال به، وتكون بذلك الحجة على الرسول وعلى من أرسله، وهذا خلاف النظام الإلهي الحق حيث يقول الباري عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣).

فالحجة لله سبحانه ولرسله، ولذا سوف لا يجد المبطلون مع بعث الرسل وكشفهم لحقائق الملكوت من خلال تمكن الناس النظر في الملكوت ورؤية آيات الله غير الجدال بالباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾^(٤)، وهذا واقع ما يراه المبعوثون بالحق حيث يواجههم المبطلون بالجدال بالباطل، وعندما يستبين باطلهم يهرعون إلى الاستهزاء والسخرية بإنذار الحق

١- الجمعة: ٢.

٢- الذاريات: ٥٦.

٣- النساء: ١٦٥.

٤- الكهف: ٥٦.

سبحانه، وهذا الأمر الذي يبينه النص الكريم تعيشه البشرية اليوم مع داعي الحق حيث اتخذوا الرؤيا وهي آية من آيات الله وبها يرى الناس في ملكوت السماوات مساحة للسخرية والاستهزاء، وراحوا يعملون على صرف الناس عن هذا السبيل الإلهي حتى لا ينكشف زيفهم وكذبهم وخداعهم، محاولين بذلك إطالة عمر دنياهم التي لا محالة زائلة وسيفتضحون عما قريب، ولكن حالهم تلك هي ذاتها حال إبليس (لعنه الله) الذي حكاه القرآن بقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

لقد كانت الرؤيا السبيل الأمثل لإفشال مخططات أعداء المرسلين ﷺ، ففي هذا السبيل ترحل الأنفس إلى عالم الطاعة للنظر في الملكوت ومعرفة حقائق الأشياء، ويستبين لها من هذه الرؤيا عدد من الأمور منها على سبيل المثال لا الحصر:

معرفة مصداق المبعوث من الغيب والكشف عن هويته.

الشهادة للمبعوث بصدق ما أخبر به كونه مرسلًا من الغيب، والشهادة الواردة من ذاك العالم هي شهادة صادقة لا جدال في ذلك ولا مرء؛ لأنها شهادة منقولة من عالم لا معصية فيه مطلقاً، فهو عالم الصدق المحض.

من خلال المعرفة المتحصلة من عالم الملكوت يستبين للناس خداع علماء السوء وفقهاء الضلالة، ومن ثم ينكشف للناس مدى انحرافهم عن الشريعة الحق، وتزول بذلك براقع القدسية الزائفة التي يتفنعون بها طوال هذه الفترة.

يعرف الناس مدى انتفاعهم بالطاعة والتسليم لهذا المبعوث، ذاك أن رسالة المبعوث لا يتحقق الهدف منها ما لم يعرف الناس أن المبعوث بها هو إمام معصوم مفترض الطاعة، أي هو بالتنصيب والجعل والتعيين من الله سبحانه فوض له الحق الدين، وعلى الناس أن لا يكون منها غير العمل على وفق مراد الإمام عليه السلام؛ لأن إرادته هي إرادة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، ولذلك كثيراً ما

١- الأعراف: ١٦.

٢- الأنبياء: ٢٥ - ٢٧.

ركز على ذلك أهل البيت عليهم السلام حيث دأبوا على تربية شيعتهم كي يكونوا أهلاً في حمل راية الحق وإظهار دين الله سبحانه من خلال سمعهم وطاعتهم لقائم آل محمد عليهم السلام، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن ضريس، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **(أرأيت إن لم يكن الصوت الذي قلنا لكم أن يكون ما أنت صانع ؟ قال: قلت: انتهى فيه والله إلى أمرك، قال: والله التسليم وإلا فالذبح، وأهوى بيده إلى حلقه) (١)**.

* * *

الرؤيا تجري مجرى كلام الرب

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (رؤيا المؤمن تجري مجرى كلام تكلم به الرب عنده)^(١).

وهذه الرواية الشريفة تشير إلى أن الرؤيا جارية مجرى الكلام وهي ليست بكلام (بمعنى هي ليست بنص قانوني أصل للمعرفة، ولكنها تجري مجرى النص القانوني للمعرفة من حيث هي شهادة للمصداق الذي ينطبق عليه النص ويعرف به)، وما يجري مجرى الكلام هو الصورة، والرؤيا هي ما يراه المرء في منامه في ملكوت السموات، وهذا الذي يراه صورة متحركة ناطقة يحتاج إلى ترجمتها بلسانه عندما يستيقظ ليؤدي الشهادة عما رأى في الملكوت، ولذا فهي تشترك مع النص القانوني من جهة كونها شهادة، وتفارقه من جهة كون النص يعد دليلاً مستقلاً بذاته، أما الرؤيا فهي شهادة متعلقة بالدليل وليست دليلاً مستقلاً بذاته، بل يصح أن تكون دليلاً بالتابعة.

لاشك في أننا نحتاج في هذا المبحث إلى أن نقترّب من التعرف على الكلمة بحقيقتها، ذاك لأن هذه المعرفة العالية لم تتح لغير محمد عليه السلام فصار هو عليه السلام هي، وهي هو، وربما فارقتها من جهة كونها حدثاً وكونه عليه السلام خلقاً، وهو برزخها الناقل لها من الحق إلى الخلق، وهو الوحيد عليه السلام الذي كتبت الكلمة في صفحة وجوده من دون حجاب، وأول من تلقاها منه الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم وهو علي عليه السلام، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي، أنا مدينة العلم وأنت بابها، وهل تؤتى المدينة إلا من بابها؟!)^(٢).

والكلمة هي مدينة الكمالات الإلهية، وهي اللطف الظاهر أو النور الظاهر الذي أحدثه الكنه والحقيقة ليعرف به، وواضح جداً من قول رسول الله صلى الله عليه وآله بوصفه مدينة العلم وهذه المدينة هي الظل لمدينة الكمالات التي بها يمكن للعباد معرفة الكلمة الحق، ولذلك سمي محمداً عليه السلام كلمة الله التامة بوصفه ظهور الكلمة في الخلق، أو بحسب ما ورد في التعبير الوارد في دعاء السمات: (وظهورك في جبل فاران) أي ظهور الله سبحانه، ومن هنا يمكننا أن نفهم أن الكلمة (الله) هي الظهور الوجودي (الأمري) للكنه والحقيقة، ومحمد عليه السلام هو الظهور الخلقى للكلمة (الله)، ويحتاج

١- كنز الفوائد - أبو الفتح الكراچكي: ص ٢١١.

٢- الأمالي - الشيخ الصدوق: ص ٦٥٥.

هذا الظهور الخلقى إلى من يترجمه وكان ذلك المترجم هو الإنسان المخلوق في أحسن تقويم، وهو علي عليه السلام باب مدينة العلم المعرف بما وبما تحمله، فكونه مخلوقاً في أحسن تقويم يتبين أن خليفة الله المنصب من عنده لا بد أن تتوفر فيه تلك السمة المهمة التي يشهد له فيها أعداؤه قبل أصدقائه، وهذا هو حال أمير المؤمنين عليه السلام الذي أغناه من سواه عن خلقه وجعل حاجة خلقه إليه، فقد ورد عن أبي العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبد الرحيم الهروي بالرملة، ثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: **"أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب"** * هذا حديث صحيح الإسناد * ولم يخرجاه * (١).

فعلي عليه السلام هو معلم البشرية الذي بين للناس الكلمة بوصفها النور المحمول، وعيبتها محمد ﷺ بوصفه الوعاء الحامل لها، ومن هنا يمكننا أن نفهم ماذا أراد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله للناس لما اضطربوا عندما رفع جيش الشام المصاحف في صفين لبث الفرقة في جيش علي عليه السلام، قال لهم عليه السلام: **(أنا القرآن الناطق)**، وكونه هو القرآن الناطق دال على أنه عليه السلام صورة القرآن المتحركة وهو المركز الذي يدور الكون الجسماني حوله، وكان يمكن للناس أن يقصروا شوط المعرفة على أنفسهم بالتوجه نحو باب المعرفة علي عليه السلام ويسلموا إليه تسليماً، ولكنهم لما أبوا ذلك كان من رحمة الله سبحانه أن وفر لهم فرصة أخيرة للمعرفة ولكن هذه الرتبة من المعرفة تظهر في شبهة لتستبين، والسبب في ذلك هو أن الناس فرطت في استحقاقها للمعرفة عندما فرطت بالمعلم علي عليه السلام، وأعرضت عنه إلى من هو دونه أو نقيضه.

فإذا كان علي عليه السلام هو صورة العلم، فالذي مال إليه الناس هو صورة الجهل، والسبب الذي جعل المرتبة الأخيرة في المعرفة تكون مشتبهة في ظهورها كون ظهورها كان رمزياً، ومشتبهة لتكون هي ساحة الامتحان ليستبين المؤمن العارف ممن هو غير ذلك .

وبذلك نفهم: لماذا المعرفة الملكتوية مهمة جداً، بل وشهادة الملكتوت أمر ضروري؟؟ لأن هذه المعرفة تتعلق بمعرفة باب مدينة العلم، وهذا الباب هو الذي أمر الله سبحانه العباد أن يأتوه منه في نصوص كثيرة وردت في الكتاب العزيز منها قوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ**

مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبُرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبُرَّ مِنَ اتَّقَى وَأَتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

فمن باب الله سبحانه يمكن الدخول الشرعي إلى بيت الله ومن ثم التزود من النور الذي فيه، وهذا الباب هو الكلمة الصورة، وهذه الكلمة هي عالم الملكوت، ومن ثم فمن أراد معرفتها فعليه أن يرحل إليها، ومعرفتها تكون بالبصيرة لا بالبصر، أي المشاهدة تكون في عالم الملكوت، ومن أولويات عمل الكلمة الصورة في عالم الملكوت أنها تشهد للكلمة الرمز في عالم الملك، والكلمة الرمز في عالم الملك تحث الناس حثاً شديداً للنظر في ملكوت السموات وطلب شهادته؛ لأن شهادة الملكوت شهادة محكمة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ لأنها شهادة قادمة من عالم لم يعص الله سبحانه فيه طرفة عين.

وهذا الأمر يكشفه جواب السيد اليماني عليه السلام في إجابته عن سؤال بشأن طلب موسى عليه السلام النظر إلى ربه سبحانه، حيث قال عليه السلام:

(طلب موسى الرؤية القلبية والمعرفة البصيرية لا البصرية أولاً، فطلب معرفة الله سبحانه وتعالى حق معرفته في مقام (القاب قوسين أو أدنى)، فلما عرف من الله سبحانه وتعالى أنه غير مستحق لهذا المقام طلب أن يرى بالبصيرة وينظر بالبصر - ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ﴾ - إلى صاحب هذا المقام، وهو محمد - ومعرفة محمد هي معرفة الله سبحانه وتعالى، والنظر إلى محمد هو النظر إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنه وجه الله سبحانه - فجاءه الجواب: أنه لا طاقة له على رؤية نور محمد في ذلك المقام القدسي، فتجلى محمد وهو نور الله سبحانه للجبل فجعله دكاً، وخرّ موسى صعقاً ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو فقط الذي يعرف محمداً ويرى محمداً، وهو صاحب هذا المقام، فهو باب محمد (أنا مدينة العلم وعلي بابها).

قال الصادق عليه السلام: (وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سمّ الخياط فدكت الأرض وصعقت الجبال).

ثم طلب موسى ﷺ مقام قائم آل محمد لما عرف من الله ما سيعطيه من التمكين في الملك، وطلب من الله أن يجعله قائم آل محمد، كما ورد في الرواية عنهم.

وبالنتيجة، فإن موسى طلب مقام: (الشمس والقمر والكوكب) التي رآها إبراهيم جدّه ﷺ، ولكن ليس بهذا المقام الذي رآه إبراهيم ﷺ وهو في الملكوت، بل طلب أن يرى أنوارهم القدسية في الملاء الأعلى، أي: مقاماتهم في السماء السابعة الكلية.

وطلب أيضاً النظر إلى محمد فسُكت عن النظر؛ لأنه ممكن سواء لصورة محمد الجسمانية أو لصورته المثالية، وُزِدَ بعدم إمكان رؤية محمد (رؤية تامة)؛ لأن صاحب هذا المقام هو علي بن أبي طالب ﷺ، وقد قال محمد: (يا علي، ما عرفني إلا الله وأنت). فقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي: لن ترى محمداً رؤية تامة، كما تطلب^(١).

إن الكلمة الرمز في هذا العالم تعمل على تعريف الناس بالكلمة الصورة من خلال حثهم للنظر في الملكوت، والعمل على تنشيط ملكة تلقي صورة الملكوت لديهم من خلال ما تبين لهم من حقائق الملكوت وكلماته، فما كان أحد يعلم ما معنى تأويل القرآن حتى ظهرت الكلمة الرمز وبيئت للناس ما معنى التأويل، فتأويل القرآن هو إعادته إلى صورته الملكوتية من خلال بيان حقيقة المعلم علي ﷺ للناس وتعريفهم به معرفة تعمل من خلالها الأنفس على خلع ريقه التعلق بعالم المادة والانشداد إلى عالم الملكوت، والسياحة فيه، ومن هنا نفهم لماذا تكون دولة العدل الإلهي في آخر الزمان هي دولة ملكوت الله؟؟ لأنها دولة علي ﷺ وحكومة علي ﷺ الإنسان الكامل التام التي يقيمها ولده القائم ﷺ الممثل الحق المبعوث من جهات علي ﷺ الثلاث، الذين غابوا عن أعين الناس، وهم: إيليا ﷺ (كي لا يكون لليهود حجة على الله ولا عذر لهم)، وعيسى المسيح ﷺ (كي لا يكون للنصارى حجة على الله ولا عذر لهم)، والإمام محمد بن الحسن المهدي ﷺ (كي لا يكون للمسلمين حجة على الله ولا عذر لهم ولا عاذر).

إن ظهور المندوب عن المنقذ الغائب في الديانات السماوية الثلاثة واستناداً إلى هذا التخريب الذي حدث في الشرائع الإلهية بعد غياب أولئك الحجج الإلهية جعل من المتعذر اليوم على الناس معرفة الحق، ومعرفة رسول الحق على الرغم من أن الداعي المرسل أعلن تحديه للذين نصبوا

أنفسهم رؤساء للديانات الثلاث بكل مللهم وطوائفهم ونحلهم وطلبهم للمناظرة العلنية أمام الناس ليستبين الحق للناس، كل أهل دين بكتابهم الذي يلتزمون به، ويظهر حقه من كتبهم، ويبين أين ذكره ربه سبحانه في توراة موسى عليه السلام، وفي إنجيل عيسى عليه السلام، وفي قرآن محمد عليه السلام، ولما أبوا عليه ذلك توجه للناس عموماً بوصفه مبعوثاً هادياً لهم، ولما كان عامة الناس ونتيجة التخريب المعرفي الذي مارسه فقهاء الديانات الثلاث على طول هذه الفترة يغطون في جهل شديد بما يتعلق في فهم الدليل الشهودي، عمل القائم عليه السلام على أن يرشدهم إلى الملكوت ويطلبهم بالنظر فيه، فالجميع لا يختلفون على شهادة الملكوت لصاحب الحق، وعلى الرغم من أن هذه الشهادة التي لا يختلف عليها اثنان من أهل الأرض وخاصة من أتباع الديانات الإلهية الثلاث، صرنا نحتاج في هذا الزمان ونتيجة لهذا الابتعاد عن ملكوت الله سبحانه إلى بيان الواضحات والتدليل عليها، بينما دلت كل الأخبار التاريخية الماضية على أن إخبار الملكوت لا سبيل لرده أو التشكيك فيه؛ لأن الناس تعلم أن الملكوت هو عالم لم يعص الله سبحانه فيه قط فهو عالم الطهارة، وما يأتي منه لا يمكن التشكيك فيه.

* * *

مبحث:

ما ملاك حجية الرؤيا: الرائي أو المرئي؟؟

هذا المبحث يسلط الضوء على ما حاول فقهاء آخر الزمان إثارته لقطع هذا السبيل المللكوتي على الناس، حيث أدخلوا عليهم شبهة أن حجية الرؤيا متعلقة بالرائي، أي أن علة حجيتها هو رائيها، فإذا كان الرائي نبياً أو وصياً فرؤياه حجة، أما إذا كان الرائي من عامة الناس فلا حجية لرؤياه، بل في أحسن الحالات الرؤيا التي رآها تلزمه هو ولا تلزم غيره، وهم بذلك يرتكبون خطأ آخر عندما يردون شهادة الرائي الذي رأى وسمع في ملكوت السماوات، بينما يعدون شهادته معتبرة عندما يشهد عما سمع ورأى في العالم الجسماني، وواقع الحال يقول: إن رد شهادة المؤمن فيما رأى وسمع في الملكوت يوجب رد شهادته في هذا العالم، ذلك لأن الشهادة المللكوتية أثبت وأصدق، والعكس بالعكس، أي أن قبول شهادة الملك موجبة لقبول شهادة الملكوت لهيمنة ذاك العالم على هذا العالم، ولكون ذلك العالم لم يعص فيه الله سبحانه مطلقاً على خلاف الحال في هذا العالم.

والآن لنستقرئ القرآن الكريم والآيات التي تحدثت عن الرؤيا عموماً بما فيها رؤيا الأنبياء ﷺ ليتبين للقارئ ملاك الحجية متعلق بمن، أ هو بالرؤيا ذاتها أو باعتبار أن الرائي نبي !!!؟؟؟!!

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(١).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الَّحْرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٢).

١- الإسراء: ٦٠.

٢- الفتح: ٢٧.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

قال تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٣).

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤).

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥)،
وهذان الفتيان كذلك ما كانا مؤمنين واستبان لهما أن الرؤيا حق، فحتى الذي كذب منهما لزمه ادعاؤه فيما قصه ووقع التأويل على وفق ما ادعى، ولعل علة وقوع التأويل أنه أراد بفعله أن يشكك بحجية المرئي في الملكوت فكان أن انقلب الأمر عليه ولزمه ما ادعى رؤيته في الملكوت ووقع تأويله على وفق ما رأى، وفي هذا تأكيد على ثبوتية وحجية ما يُرى في عالم الملكوت ولا سبيل للطعن فيه، بل حتى من يحاول أن يدعي الرؤيا وهو لم يرَ يلزمه ادعاؤه.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(من كذب في حلم، كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعرتين)**^(٦)، وما هذا إلا لأن أمر الرؤيا بذاتها عظيم بغض النظر عن رأيها، فالاعتبار قائم فيها بوصفها تجري مجرى كلام تكلم به الرب سبحانه عند عبده، كما ورد عنهم صلوات الله وسلامه عليهم.

١- الصافات: ١٠٢.

٢- الصافات: ١٠٥.

٣- يوسف: ٤.

٤- القصص: ٧.

٥- يوسف: ٣٦.

٦- جامع السعادات - للنراقي: ج ٢ ص ٢٥٥.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(١)،
والملك صدق بما رأى في الملكوت ولذلك هو يطلب من ملئه أن يفتوه ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي﴾،
والملك في حال الرؤيا حتى لم يكن مؤمناً بيوسف عليه السلام بل كان على ملة قومه.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾^(٢)، وبلقيس ليست نبياً ولكنها صدقت ما رأت في الملكوت وطلبت الفتيا من ملئها ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي﴾ كما طلبها الملك.

مما مر علمنا أن الرؤيا هي كلام الرب سبحانه، ولذا فحجيتها بذاتها ثابتة كونها كلامه سبحانه، والناس ينمازون بالسمع فعموم الناس وبحسب التفاتهم إلى الملكوت يسمعون، وقد يكون هذا السماع ضعيفاً أو واضحاً جلياً بحسب إصغائهم، فالذين ينصتون بإصغاء لا شك في أنهم يسمعون بوضوح؛ لأنهم واقعون في دائرة رحمة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣)، والقرآن كلام الله، والرؤيا كذلك، وقراءة القرآن ليست مقصورة على هذا العالم، بل هو يُقرأ في كل العوالم، ومن تعلم الاستماع والإنصات له في الملكوت يعرف معنى الإنصات والاستماع له في عالم الملك، ومن لم يعرف تلك هناك قطعاً لا يعرفها هنا وإن تظاهر بذلك.

وهناك من العباد من يجد السير باتجاه جهة الكلام فيقترب ليرى مصدر الكلام ويرى صورته، كون كلام الله سبحانه صفته، فهو في الملكوت - صورة - لا بد أن يتجلى بما يعرف به، وإذا ازداد العبد اقترباً استبان له شيئاً فشيئاً حقيقة الكلمة، وبقدر اقترابه منها حتى إذا وصل إلى الموقف الذي وصله الأنبياء والمرسلون عليهم السلام وسيدهم محمد عليه السلام وآل محمد عليهم السلام يكون قد بلغ المقام الذي يجعله يطلب الفناء بالكلمة حتى لا يبقى موجوداً إلا الموجود الحق سبحانه.

١- يوسف: ٤٣.

٢- النمل: ٢٩ - ٣٢.

٣- الأعراف: ٢٠٤.

واستناداً إلى ذلك يستبين لنا أن الحجّة في الكلام لا في ناقله أو متلقيه، بل أن الناقل والمتلقي إنما هو عارض على الكلام ولا علاقة بينهما سوى علاقة تصديق الناقل بما ينقل والمتلقي بما تلقى وإيمانه به ومن ثم العمل به على وفق ما سمعه، ولكون الحجية في الكلام ذاته تعد الرؤيا شهادة ملكوتية يستوجب على متلقيها إعلانها وإظهارها بغض النظر عن قبول الناس لها أو رده؛ لأنها بذاتها هي شهادة الله، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

والرؤيا رسالة الله سبحانه إلى عباده؛ لتتم الحجّة على الناس ويحكم الله سبحانه حجته ويجعل أمره الذي يحمله الرسول منيعاً لا سبيل للشيطان (لعنه الله) أو جنده عليه، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢)، ولذا بين ذلك رسول الله ﷺ جلياً. (ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه، عن آبائه، أنّ رسول الله قال: من رآني في منامه فقد رآني؛ لأنّ الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم. وأنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة)^(٣).

يعلن الرسول ﷺ عن نفسه وعن أوصيائه وشيعتهم كونهم - كل بحسبه ومقامه - كلمات الله التي لا سبيل للشيطان (لعنه الله) عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ *^(٤).

* * *

١- البقرة: ١٤٠.
 ٢- النساء: ١٦٥.
 ٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٨٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٨٧، أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٢٠، بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٨٣.
 ٤- الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢.

مبحث:

موضع الرؤيا

لا شك في أن موضع الرؤيا هو واحد وهو عالم الملكوت ومتعلقاته، ومن متعلقات عالم الملكوت النفس الإنسانية، فما دامت هي في حالة توف مستمرة هذا يعني أنها في حالة تنقل من عالم إلى عالم إلى أجل مسمى، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، وتوفيتها مرة يكون مؤقتاً بالنوم، وأخرى يكون دائماً تنقطع فيه النفس عن عالم الأجساد وذلك بالموت.

وتوفي النفس بالنوم هو انتقالها إلى عالمها الأصل وهو عالم الملكوت، ورد في الحديث: قال رسول الله ﷺ: (الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه)^(٢). وخلال رحلة النفس إلى عالم الملكوت فهي تمر - إذا صح التعبير - بثلاث مراتب صعوداً:

المرتبة الأولى: بنوم الجسد تتفرغ من تدبير شؤونه وتنشغل بشأنها، وقد يكون في أثناء انشغالها بتدبير شؤون الجسد عرض لها عارض أهمها وشغلها وزاحم عملها فنحته إلى وقت فراغها وهو وقت نوم الجسد فتعود إلى ما أهمها وشغلها فتحاول أن تعالجه بالتطلع إلى ما تتمنى أو بتنفيسه بأي طريقة تمكنها من التخلص من تبعاته، وهذا ما يسمونه بأضغاث الأحلام أو حديث النفس، وهذا الحديث هو تعبير عن الخطوة الأولى في عالم الملكوت (ملكوت النفس).

المرتبة الثانية: طريق الصعود إلى عالم الملكوت تكون فيه النفس متحررة من قيود الجسد وارتباطاته، وفي هذا الطريق لها رصد وهم شياطين الجن يتلقونها بالأباطيل عند عروجها بقطع الطريق عليها وتعطيلها من بلوغ عالمها أو عند عودتها إلى الجسد؛ لأنها والحال تلك ستكون معلقة بالهواء، كما بين أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: (إن الله يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ

١- الزمر: ٤٢.
٢- بحار الأنوار ج ٥٨ ص ١٩١.

أَجَلٌ مُّسَمًّى، فالله يتوفى الأنفس كلها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقته الشياطين في الهواء فكذبته وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها^(١).

والمرتبة الثالثة: أن تبلغ عالمها وترى في ملكوت السماء من حقائق الأشياء، وهذا الذي رآته - هو بذاته - حق وصدق؛ لأنه خبر السماء، وهو كما أخبر رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ جزء من أجزاء النبوة بوصفة صورة من صور الوحي.

وفي تلك المراتب الثلاث موضع خروج الرؤيا واحد وهو النفس، ولكن الاختلاف يقع في الموضع الذي تتلقى منه النفس، فتارة تلقيها من ذاتها، وتارة من الشيطان الذي يترصد طريقها، وتارة ثالثة من الله سبحانه عند بلوغها عالمها وهو عالم الملكوت، ولذلك ما تتلقاه من الملكوت يكون صادقاً، وما تتلقاه من ذاتها أو من الشيطان فهو كاذب، وكلا الخبرين الصادق والكاذب موضع خروجهما واحد هو تلك النفس عند نومها.

حيث ورد عن أبي بصير، قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد، قال: صدقت، أما الكاذبة المختلفة فإن الرجل يراها في أول ليله في سلطان المردة الفسقة، وإنما هي شيء يخيل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها، وأما الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة - وذلك قبل السحر - فهي صادقة لا تختلف إن شاء الله، إلا أن يكون جنباً أو يكون على غير ظهور أو لم يذكر الله تعالى حقيقة ذكره، فإنها تختلف وتبطل على صاحبها)^(٢).

وكون مخرجهما واحداً هو أن الواصف لهما واحد وهو النفس، ولكن الاختلاف يقع في الوصف، فمرة يكون الوصف لمربي هو مما خُيِّل للنفس وهذه الصورة المرئية - كما يخبر عنها الإمام عليه السلام - كاذبة مخالفة لا خير فيها، وحكمها بكونها - أي تلك الرؤيا - واقعة في أول الليل الواقع في سلطان المردة الفسقة، وأما الرؤيا الصادقة فتلك المرئية في الثلث الأخير من الليل أي عند السحر وهو وقت اختلاف الملائكة، فتكون النفس في حال عروجها وعودتها بحماية

١- بحار الأنوار - للمجلسي: ج ٥٨ ص ١٩٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٩٣.

الملائكة، وهذه الحماية تتوفر لها بشروط ذكرها الإمام الصادق عليه السلام، وهي: أن يكون الرائي طاهراً، أن لا يكون جنباً، أن ينام على ذكر الله جل وعلا، فاختلال تلك الشروط سبب في اختلال الرؤيا واختلافها وبطئها على صاحبها أي بطؤ تأويلها، فالغاية من الرؤيا أن يكون لها تأويل تتحقق فيه المنفعة للرائي، وكلما كانت الرؤيا واضحة الرموز ومحكمة يكون تأويلها أسرع، وكلما اختلقت رموزها واختلفت أبطأ تأويلها ومن ثم يبطئ الانتفاع بها.

* * *

الفصل الثاني

● الرؤيا في القرآن الكريم والكتاب المقدس

المبحث الأول:

رؤيا إبراهيم في ملكوت السموات

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

بيّن هذه الآيات الكريمة يماني آل محمد عليه السلام في موضعين من المتشابهات الجزء الأول، في الموضع الأول بيّن السبب في حصر رؤيا إبراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس حسب، فقال: (الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقمر الإمام علي عليه السلام، والكوكب الإمام المهدي عليه السلام).

والشمس والقمر والكوكب في الملكوت كانت تجلي الله في الخلق، ولهذا اشتبه بها إبراهيم عليه السلام ولكن كل بحسبه. واختص محمد وعلي والقائم بأنهم تمام تجلي الله في الخلق في هذه الحياة الدنيا؛ لأنهم مرسلين وليس فقط مرسلين.

ولأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو صاحب الفتح المبين، وهو الذي فتح له مثل سم الإبرة، وكشف له شيء من حجاب اللاهوت، فرأى من آيات ربه الكبرى. وهو مدينة العلم، وهي صورة لمدينة الكمالات الإلهية أو الذات الإلهية.

أما علي فلأنه باب مدينة العلم، وهو جزء منها، وكل ما يفاض منها يفاض من خلاله. فمحمد تجلي الله سبحانه وتعالى، واسم الله سبحانه في الخلق، وعلي ممسوس بذات الله، فعندما لا يبقى محمد، ولا يبقى إلا الله الواحد القهار في آتات، يكون علي عليه صلوات ربي هو تجلي الله سبحانه في الخلق، وفاطمة عليها صلوات ربي معه، وهي مخصوصة بأنها باطن القمر وظاهر الشمس.

ولهذا قال علي عليه السلام: **(لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقيناً)**؛ لأنه وإن لم يكشف له الغطاء، ولكنه بمقام من كشف له الغطاء.

أما القائم عليه السلام فهو تجلي اسم الله سبحانه وهو حي وقبل شهادته؛ لطول حياته وطول عبادته مع كمال صفاته وإخلاصه، فهو يصل صلاته بقنوته وقنوته بصلاته، وكأنه لا يفتر عن عبادة الله سبحانه. ولأنه الجالس على العرش يوم الدين أي يوم القيامة الصغرى، وفي القرآن اليوم المعلوم. ولأنه الحاكم باسم الله بين الأمم في ذلك اليوم، فلا بد أن يكون مرآة تعكس الذات الإلهية في الخلق ليكون الحاكم هو الله في الخلق، فيكون كلام الإمام عليه السلام هو كلام الله، وحكمه هو حكم الله، وملك الإمام عليه السلام هو ملك الله سبحانه وتعالى، فيصدق في ذلك اليوم قوله تعالى في سورة الفاتحة: **﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**، ويكون الإمام عليه السلام في ذلك اليوم عين الله ولسان الله الناطق ويد الله ^(١).

وفي الموضوع الثاني كان بياناً لقول إبراهيم عليه السلام ودفعاً لما وقع فيه الناس من شبهة كون إبراهيم عليه السلام نبي واشتبه عليه أمر الأنوار الإلهية الثلاثة، فقال يمامي آل محمد عليه السلام:

(متوهم من يظن أن هذا الكلام حصل من إبراهيم عليه السلام في عالم الشهادة، أي في هذه الحياة الدنيا وإن كان إبراهيم عليه السلام ربما أعاده في هذه الحياة الدنيا؛ للتبكي بقومه الذين يعبدون هذه الكواكب، أو الأرواح المحركة لها.

والحقيقة أنّ محمداً وآل محمد حيرت أنوارهم القدسية أصحاب العقول التامة من الأنبياء العظام والملائكة الكرام عليهم السلام، حتى ظنوا أنهم الملك العلام سبحانه.

فإبراهيم عليه السلام لما كُشف له ملكوت السموات، ورأى نور القائم عليه السلام قال: هذا ربي، فلما رأى نور علي عليه السلام قال: هذا ربي، فلما رأى نور محمد قال: هذا ربي، ولم يستطع إبراهيم عليه السلام تمييز أنهم عباد إلا بعد أن كشف له عن حقائقهم عليهم السلام، وتبين أفولهم وغيبتهم عن الذات الإلهية، وعودتهم إلى الأنا في آنا. وعندها فقط توجه إلى الذي فطر السموات، وعلم أنهم (صنائع الله والخلق بعد صنائع لهم) كما ورد الحديث عنهم عليهم السلام.

ولإبراهيم عليه السلام العذر، فقد ورد في دعاء أيام رجب عن الإمام المهدي عليه السلام في وصف محمد وآل محمد: **(لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك)**، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على محمد وآل محمد الطاهرين، والحمد لله رب العالمين ^(١).

من هذا البيان يتوضح للباحث أن الرؤيا بذاتها وليس باعتبار رأيها تشكل مصدراً معرفياً، كما أن الرائي قبلها يكون أمام حال من حالين: إما أن يصدق ما يرى، أو يكذب ما يرى، فواقع الحال يكشف أن الرائي ممتحن، والرؤيا في واقعها امتحان للرأي يكشف عن علاقته بالغيب، فإن كانت العلاقة منقطعة فسيعرض الرائي عما يرى بدعوى أن ما رأى هو (أضغاث أحلام)، وإن كان ارتباطه بالغيب ارتباطاً حقيقياً فسيعلم أن ما رأى في ملكوت السماوات هو وحي من الله سبحانه، بدليل أن إبراهيم عليه السلام بهذه الرؤيا عرفه ربه سبحانه حقائق سيرته من الموقنين، أي إن إبراهيم عليه السلام اكتسب من هذا التعليم بالملكوت درجة معرفية أهلته إلى أن يكون إماماً، وهذه الرتبة هي أعلى من رتبة النبوة، فهذه الأنوار الإلهية التي رآها إبراهيم عليه السلام في ملكوت السماوات والأرض هي الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام فآتمهن - لعل التمام هنا دال على المعرفة التي جعلته من الموقنين - قال تعالى: **﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾** ^(٢).

لقد كان شأن إبراهيم عليه السلام مع الرؤيا والمعرفة بالملكوت عظيماً، حينما وجد نفسه أمام اختبار كشف عن رفيع مقامه عليه السلام الذي تحصل عليه بالارتباط بالغيب، والإخلاص في التوجه إليه، فالعمل بالإخبار الملكوتي أمر لا يتأتى للمرء إلا بعد أن يرتقي في مراتب المعرفة الحق، ويقترّب من ربه سبحانه اقتراباً يثبت بالدليل كونه عبداً حقيقياً لسيدته يؤمر فيطيع ويسلم، بل أن تلك الرؤيا التي رآها إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام دللت على المعرفة الكبيرة والصبر العظيم الذي جعل من إسماعيل عليه السلام يسمى ذبيح الله الذي فدي بكبش إلهي شكل جائزة للأب الصابر والابن الأصبر لأن من رأى الرؤيا هو أبوه (ع) وأما هو فقد سلّم لقول حجة الله سبحانه، وهذه الصورة تكشف عن حقيقة إتباع المأموم للإمام عليه السلام، وكون هذا الإخبار السماوي هو الحقيقة التي لا سبيل للانحراف عنها مهما كانت صعوبة الأمر، قال تعالى: **﴿رَبِّ**

١- المتشابهات: ج ١ السؤال ٧.

٢- البقرة: ١٢٤.

هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١﴾ .

ورد في بيان هذه الآيات، عن أبي بصير، أنه سمع أبا جعفر وأبا عبد الله (عليهما السلام) يذكران جبرئيل: (أنه لما كان يوم التروية قال جبرئيل لإبراهيم (عليهما السلام) تروء من الماء. فسميت التروية. ثم أتى منى فأباته بها، ثم غدا به إلى عرفات فضرب خباءه، بنمرة، دون عرفة، فبنى مسجداً بأحجار بيض - وكان يعرف أثر مسجد إبراهيم حتى ادخل في هذا المسجد الذي بنمرة، حيث يصلي الإمام يوم عرفة - فصلى بها الظهر والعصر. ثم غدا به إلى عرفات، فقال: هذه عرفات، فاعرف بها مناسكك، و اعترف بذنبك، فسمي عرفات. ثم أفاض إلى المزدلفة، فسميت المزدلفة؛ لأنه ازدلف إليها، ثم قام على المشعر الحرام، فأمره الله أن يذبح ابنه، وقد رأى فيه شمائله، وخلائقه، وأنس ما كان إليه، فلما أصبح أفاض من المشعر إلى منى، فقال لأمه: زوري البيت أنت، واحتبس الغلام، فقال: يا بني هات الحمار والسكين حتى أقرب القربان.

فقال أبان: فقلت لأبي بصير: ما أراد بالحمار والسكين ؟ قال: أراد أن يذبحه، ثم يحمله، فيجهزه ويدفنه.

قال: فجاء الغلام بالحمار والسكين، فقال: يا أبت، أين القربان ؟ فقال: ربك يعلم أين هو. يا بني، أنت والله هو، إن الله قد أمرني بذبحك، فانظر ماذا ترى ؟ قال: يا أبتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. قال: فلما عزم على الذبح قال: يا أبت، خمر وجهي وشد وثاقي. قال: يا بني، الوثاق مع الذبح ؟ والله لا أجمعهما عليك اليوم. قال أبو جعفر عليه السلام: فطرح له قرطان الحمار، ثم أضجعه عليه، وأخذ المدينة فوضعها على حلقه، قال: فأقبل شيخ، فقال: ما تريد من هذا الغلام ؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله، غلام لم يعص الله طرفة عين، تذبحه ! قال: نعم، إن الله قد أمرني بذبحه، فقال: بل ربك

نهاك عن ذبحه، وإنما أمرك بهذا الشيطان في منامك. قال: وبلك، الكلام الذي سمعت هو الذي بلغ بي ما ترى، لا والله لا أكلمك. ثم عزم على الذبح، فقال الشيخ: يا إبراهيم، إنك إمام يقتدى بك، فإن ذبحت ولدك ذبح الناس أولادهم، فمهلاً. فأبى أن يكلمه.

قال أبو بصير: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فأضجعه عند الجمرة الوسطى، ثم أخذ المدينة فوضعها على حلقه، ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم انتحى عليه، فقلبها جبرئيل عليه السلام عن حلقه، فنظر إبراهيم فإذا هي مقلوبة، فقلبها إبراهيم على حدها، وقلبها جبرئيل على قفاها، ففعل ذلك مراراً، ثم نودي من ميسرة مسجد الخيف: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا واجتر الغلام من تحته، وتناول جبرئيل عليه السلام الكبش من قلة ثبير - هو أعلى جبال مكة وأعظمها - فوضعه تحته. وخرج الشيخ الخبيث حتى لحق بالعجوز حين نظرت إلى البيت، والبيت في وسط الوادي، فقال: ما شيخ رأيته بمنى؟ فنعت نعت إبراهيم، قالت: ذاك بعلي. قال: فما وصيف رأيته معه؟ ونعت نعته. قالت: ذلك ابني. قال: فإني رأيته أضجعه، وأخذ المدينة ليذبحه. قالت: كلا، ما رأيت إبراهيم إلا أرحم الناس، وكيف رأيته يذبح ابنه؟ قال: فورب السماء والأرض، ورب هذه البينة، لقد رأيته أضجعه وأخذ المدينة ليذبحه. قالت: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذبحه. قالت: فحق له أن يطيع ربه. قال: فلما قضت مناسكها فرقت أن يكون قد نزل في ابنها شيء! فكأنني أنظر إليها مسرعة في الوادي، واضعة يدها على رأسها، وهي تقول: رب، لا تؤاخذني بما عملت بأمر إسماعيل قال: فلما جاءت سارة فأخبرت الخبر، قامت إلى ابنها تنظر، فإذا أثر السكين خدوشاً في حلقه، ففزعت، واشتكت، وكان بدء مرضها الذي هلك فيه ^(١).

هذه الرواية الشريفة فيها خمس شخصيات دارت في فلك هذه الرؤيا التي هي امتحان إلهي كبير، هذه الشخصيات هي: إبراهيم عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام، وأمه هاجر عليها السلام، وجبرئيل عليه السلام، وإبليس (لعنه الله) الذي تمثل بصورة شيخ، ولكل من هذه الشخصيات عمل أدته في ساحة الرؤيا

وأثرها في هذا العالم، فأبراهيم عليه السلام امتدحه الله سبحانه بقوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

وهذه شهادة إلهية لإبراهيم عليه السلام كونه صدق الرؤيا وعمل بها كما رآها في الملكوت، وربما يقول قائل: إبراهيم عليه السلام نبي ولذلك فرؤياه تعد وحيًا إلهيًا ولذا تصديقه إياها يعد من تكليفه، أما نحن فلسنا أنبياء؟؟

ويرد على هكذا إشكال بالآية التي امتدح بها الحق سبحانه عمل إبراهيم عليه السلام، فالله سبحانه جازى إبراهيم عليه السلام وسماه من المحسنين لتصديقه الرؤيا ولو كان الحال كما يقول السائل لما كان هناك من داع لمجازاة إبراهيم عليه السلام؛ لأنه عمل بتكليفه، والآية تنقض هذا الإشكال، كما إنها تبين كيف للمكلف أن يكون محسناً؟؟ حيث يمكن للمكلف أن يبلغ درجة إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام بالتسليم لأمر الله سبحانه بالغيب، ولذلك الله سبحانه قال: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا...﴾ أي أن إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) قد أسلما نفسيهما لأمر الله سبحانه الأول بتصديق أمر الله بالرؤيا، والثاني بالطاعة للأمر، وبين هذان النبيان العظيمان (عليهما السلام) كيف تكون علاقة الإمام بالمأموم: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى...﴾، وانظر إلى طاعة المأموم للإمام حيث أجابه: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ فكانا بذلك كلاهما مسلمين للكلمة (الأمر الذي سمعه إبراهيم عليه السلام في الرؤيا)، ولذلك عندما جاءه إبليس (لعنه الله) بهيئة شيخ لاحظ كيف حاول ثنيه عن عزمه فكلمه بلسان الناصح وهو يريد أن يثني عزمه ويثبطه، ولما وجد فيه العزم على المضى إلى ما أمره الله سبحانه به حاول أن يشككه بما سمع بأن يلقي في طريقه أن ما سمعه هو كلام شيطان وليس كلام الرب سبحانه، وهنا أيضاً خذله إبراهيم عليه السلام وانتصر لربه سبحانه، فقال له أول مرة: (ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله، غلام لم يعص الله طرفة عين، تذبجه! قال: نعم، إن الله قد أمرني بذبحه)، فقال له: (بل ربك نهاك عن ذبحه، وإنما أمرك بهذا الشيطان في منامك. قال: ويلك، الكلام الذي سمعت هو الذي بلغ بي ما ترى، لا والله لا أكلمك)، لما وجده عازماً حاول أن يثني عزمه بتذكيره بمقامه بين الناس وأن فعله هذا سيكون سنة تتبع، وهذه

الثالثة كانت أقسى مراحل قتال (الأنا) سلاح إبليس (لعنه الله) وساحة الطعن في الوقت نفسه، ولكن إبراهيم عليه السلام انتصر في تثبيت منهج التسليم لله سبحانه ولم يلتفت لكلامه.

وإليك عزيزي القارئ هذا الموقف العظيم لسيدنا إبراهيم عليه السلام حيث قال له الشيخ - إبليس (لعنه الله) - : (يا إبراهيم، إنك إمام يقتدى بك، فإن ذبحت ولدك ذبح الناس أولادهم، فمهلاً. فأبى أن يكلمه)، فكان بحق هو وابنه (عليهما السلام) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، فكان تسليمه عليه السلام سنة تتبع ومنهاج عمل امتدحه رب العزة والجلال بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٢)، ولمن رام بلوغ تلك المرتبة العظيمة من المعرفة بالله سبحانه فلا بد له من سلوك هذا السبيل حيث، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٣).

والشخصية الثانية إسماعيل عليه السلام، والله سبحانه قد كافأه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ **وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ**^(٤)، وكان عليه السلام مصداقاً للمأموم المسلم لإمامه و متمسكاً بعروة الله الوثقى، فقله لأبيه عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ...﴾ كاشفاً عن عظيم التربية الإلهية ونجاح المعلم إبراهيم عليه السلام في مهمته، وكذلك استبان للناس معنى أن يكون المعلم (أمة) برأسه؛ لأنه قادر على أن يصنع أمة مؤمنة لله سبحانه على وفق ما أراد الله تعالى، بدليل أنه صنع إسماعيل عليه السلام وأوصله إلى هذه المرتبة العظيمة من الإيمان بالغيب والتسليم لأمر الله سبحانه.

الشخصية الثالثة كانت السيدة زوج إبراهيم عليه السلام وأم إسماعيل عليه السلام، على الرغم من أن الآيات الكريمة التي سجلت هذا الحدث العظيم لم تظهر لنا موقفها، إلا أن الطاهرين عليهم السلام بينوا لنا هذا الموقف العظيم الذي كانت عليه السيدة عليها السلام، حيث تذكر الرواية الشريفة - أعلاه - أن إبليس (لعنه الله) - الشيخ - لما آيس من الرجلين (عليهما السلام) توجه إلى السيدة عليها السلام، حيث قال الإمام عليه السلام: **(وخرج الشيخ الخبيث حتى لحق بالعجوز حين نظرت إلى البيت،**

١- البقرة: ١١٢.

٢- النساء: ١٢٥.

٣- لقمان: ٢٢.

٤- الصفات: ١٠٦ - ١٠٧.

والبيت في وسط الوادي، فقال: ما شيخ رأيته بمنى ؟ فنعت نعت إبراهيم، قالت: ذاك بعلي. قال: فما وصيف رأيته معه ؟ ونعت نعتة. قالت: ذلك ابني. قال: فإني رأيته أضجعه، وأخذ المدينة ليذبحه).

فما كان جوابها الأول ﷺ؟؟ كان جواب المؤمن الواثق أن إبراهيم عليه السلام هو باب رحمة الله سبحانه، وتلك كانت الطعنة الأولى لهذا اللعين حيث قالت له: (لم ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذبحه. قالت: فحق له أن يطيع ربه).

نعم، حق له أن يطيع ربه وأن يفعل ما أمره، ولم تلتفت إلى قول هذا اللعين وانصرفت تؤدي مناسكها في البيت الحرام حيث يقول الخبر: (فلما قضت مناسكها فرقت أن يكون قد نزل في ابنها شيء ! فكأني أنظر إليها مسرعة في الوادي، واضعة يدها على رأسها، وهي تقول: رب، لا تؤاخذني بما عملت بأمر إسماعيل، قال: فلما جاءت سارة فأخبرت الخبر، قامت إلى ابنها تنظر، فإذا أثر السكين خدوشاً في حلقه، ففزعت، واشتكت، وكان بدء مرضها الذي هلكت فيه).

والشخصيتان الأخيرتان هما: موقف جبرائيل عليه السلام المحب المشفق، وهكذا هو دوماً حبيب المؤمنين، واللعين إبليس الذي لبس لبوس الشيخ الناصح وذهب كل تدبيره أدراج الرياح، فكل ما يريده مما يفعل مع المؤمنين هو أن يدخل على قلوبهم الحزن والأذى؛ لأنهم أحزوه بصبرهم والتزامهم سبيل الله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

يستبين للباحث مما تقدم أن الرؤيا هي وحي إلهي وسبيل تنقل به الأوامر الإلهية من عالم الملكوت إلى عالم الملك، ولذا فأولئك الذين يفترضون افتراضات للتشكيك بمصداقية هذا الدليل الإلهي أن لو رأى الإنسان رؤيا بأنه يذبح ابنه أو أمر بذبح ابنه هل يفعل؟؟؟ الجواب يجدونه في هذا الموقف الذي حصل لإبراهيم عليه السلام ويأتيهم من جهتين:

الأولى: الذي يرى هذا البلاء العظيم لا بد أن يكون من أهله؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، فهو سبحانه اللطيف الودود الرحيم بعباده، ولذا فهذا الافتراض من هذه الجهة مردود، ومن يفترضه إنما هو شك برحمة الله سبحانه.

والجهة الثانية: إما أن يكون من يفترض ذلك هو من عينة سيدنا إبراهيم عليه السلام فلا يعود لذلك الفرض الشيطاني وجود؛ لأن صاحبه سيقف كما وقف إبراهيم عليه السلام بوجه الشيطان (لعنه الله)، أو أن من افترض ذلك الفرض هو ليس من عينة سيدنا إبراهيم عليه السلام فافتراضه هذا لغو لا قيمة له، ومن ثم فهذا الافتراض ساقط لا اعتبار له، وتكون بذلك الرؤيا كيفما أتت وأي أمر كانت تحمل فهي وحي إلهي لا سبيل لرده أو التشكيك فيه، ومن رده أو شكك به إنما هو يشكك بمصدره ويرد عليه قوله، ومصدر الرؤيا هو الله سبحانه؛ لأنها تجري مجرى كلام تكلم به الرب عند عبده - هذا بحسب ما ذكرته وبينته روايات الطاهرين من آل محمد عليهم السلام -، ولذا فالرؤيا من جهة هي ناقلة لأمر إلهي على سبيل الابتلاء، أو تكون معرفة لرأيها بحقائق الملكوت وفيها إجابة على أسئلته التي من خلالها يريد أن يعرف الحق، وهذا ما استبان من حال سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الرؤيا في موقفين عظيمين، وكذلك سيبين لنا القرآن كيف أن الرؤيا هي سبيل لمعرفة المصداق الحق عندما يأتي محتجاً بالنص، كما في سورة يوسف عليه السلام.

* * *

المبحث الثاني :

الرؤيا في سورة يوسف

تعد سورة يوسف بياناً هاماً وواضحاً على دليلية الرؤيا وكونها سبيلاً لمعرفة الحق، فهذه السورة الشريفة قدمت لنا رؤى متنوعة لشخصيات مختلفة، وكذلك أبرزت لنا مواقف الناس اتجاه الرؤيا، وبينت لنا أيضاً كيف أن الرؤيا كاشفة لعلم العالم، وبيان زيف من يدعي العلم ادعاءً لا دليل عليه، وأول موقف تواجهنا به هذه السورة الشريفة هو رؤيا يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١﴾ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخْتَصِمُ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾^(١)، فهذه الرؤيا توضح للباحث جملة من الأمور، منها:

إن الرائي يوسف عليه السلام رأى هذه الرؤيا قبل أن يبعث، وعندما قصها على أبيه يعقوب عليه السلام عرف يعقوب منها أن هذه رسالة السماء إليه تبين له أن الحجية ستنتقل منه إلى ابنه يوسف عليه السلام وستكون له الولاية على أبيه، ومنذ ذلك اليوم حرص على أن يرعى يوسف رعاية خاصة؛ لأنه - بحسب الرؤيا - هو أمانة الرب عند يعقوب عليه السلام وهو مكلف بتربيته وتعليمه على وفق ما يتطلبه نبأ السماء.

حرص النبي يعقوب عليه السلام على تحذير يوسف عليه السلام ونهيه من قص رؤياه على إخوته؛ لأنهم سيعرفون من خلالها أن الولاية عليهم بعد أبيهم ستنتقل إلى أخيهم الأصغر، وهذا ما سيجعل للشيطان (لعنه الله) مجالاً في إعادة مأساة هايل عليه السلام مع قابيل (لعنه الله)، حينما جعلت الولاية فيه وهو أصغر عمراً من أخيه قابيل، وهذا الأمر يكشف عن أن الرؤيا حجة ودليل في تعيين المصداق، وإلا لو لم تكن كذلك لكان تحذير النبي يعقوب عليه السلام مجاناً للحكمة - وحاشاه - فهو نبي كريم من أنبياء الله سبحانه، والحكمة من لوازم النبوة ومختصاتهما.

ولذلك لما علم أخوة يوسف عليه السلام بأمر الرؤيا فعلوا ما حذر منه يعقوب عليه السلام، وكادوا ليوسف عليه السلام وأرادوا أن يقتلوه، فلو لم تكن الرؤيا لديهم حجة ودليل على أن الولاية ستنتقل من

أبيهم يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام، ما مبرر كيدهم ليوسف عليه السلام؟؟ ولماذا كادوه بعدما سمعوا برؤياه؟؟ ولماذا حرصوا على القضاء عليه واجتهدوا في التدبير لذلك؟؟ كل هذه الأسئلة لا جواب لها غير أن أخوة يوسف عليه السلام علموا من خلال رؤياه أن الولاية ستنتقل من أبيهم يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام فنهجوا نهج قاييل (لعنه الله) مع أخيهم، ولكن الله سبحانه أنجاه بلطفه وعنايته.

من ذلك يتبين للباحث أن الرؤيا بذاتها هي حجة ولا اختلاف في حجيتها بكون الرائي نبي أو غير نبي، فيوسف عليه السلام لما رأى الرؤيا كان صغيراً، وكان النبي هو يعقوب عليه السلام، وكذلك هي بالنسبة للمتلقي، حيث تلقاها النبي يعقوب عليه السلام وعرف منها أن الولاية ستنتقل منه إلى ولده يوسف عليه السلام، وكذلك فهم منها أخوة يوسف عليه السلام الفهم نفسه الذي فهمه يعقوب عليه السلام، ولذا فلا اختلاف في حجيتها بلحاظ المتلقي، فهي حجة بذاتها بغض النظر عن رائيها ومتلقيها، ومن يقول غير ذلك فعليه أن يأتي بالدليل على جعل حجية الرؤيا متعلقة بالرأي المعين أو المتلقي المعين، وهذا - كما يقول العرب - دونه خرط القتاد.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وهنا الرؤيتان ستكونان دليلاً على علم حجة الله سبحانه، فشهادة الفتيين أن يوسف عليه السلام من المحسنين تكشف عن أنهما رأيا فيه سيماء الصالحين، ولكن حجيته كونه مبعوثاً من السماء غير ثابتة، فكان حدوث الرؤيا وطلب تأويلها هو موقف إلهي لإثبات حجية يوسف عليه السلام وصدق دعوته كونه نبياً مبعوثاً من السماء، ولذا استثمر يوسف عليه السلام هذا الموقف الإلهي لبيان أحقيته وحقيقة دعوته، فراح يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي بعثه وهو من علمه تأويل الأحاديث.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١﴾ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾، فكان طلب تأويل الرؤيا من الفتيين سبيلاً لبيان الحق وداعيه، وفرصة إلهية أتاحت ليوسف عليه السلام لتبليغ الناس بحقيقة دعوته، وإن ما شاهدوه من سيماء المحسنين هو عائد إلى هذا الأمر الذي هو مكلف بتبليغه للناس، كما أنه عليه السلام بين كذلك أن أحدهما رأى رؤيا حقاً وأولها له وهو الساقى، أما الثاني فإنما اختلق الرؤيا ولم ير حقاً فلزمه تأويل ما اختلق، وتحقق كلا التأويلين؛ من رأى فعلاً، ومن اختلق الرؤيا ليعلم الناس أن الملكوت حق محض ولا ينبغي لأحد أن يخلق شيئاً وينسبه إلى الملكوت؛ لأنه سيلزمه ما اختلقه وسيفتضح بما اختلقه.

رؤيا الملك، حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٢)، ومن المعلوم أن الملك لم يكن موحداً بل كان على عبادة الشرك، وعلى الرغم من ذلك أراه الله سبحانه رؤيا نقلت له خبر ما سيكون في ملكه، وقد أتت هذه الرؤيا على هيئة رموز شكلت دافعاً للملك كي يعرف تأويلها وتعبيرها، وهذا يعني أن خبر السماء يحفز دافعية فطرية في الإنسان للمعرفة بغض النظر عن كون ذلك الإنسان موحد أو مشرك، نبي أو ليس بنبي.

وهنا يندفع إشكال الذين يقولون أن الرؤى الصادقة هي رؤى الأنبياء عليهم السلام حسب، فهذا الملك لم يكن نبياً بل لم يكن موحداً ولكن أراه الله سبحانه رؤيا صادقة، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَؤَآءًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٣)، فالرؤيا عطاء إلهي يشمل كل الناس، ولا يختص بفئة دون أخرى، هذا جانب، والجانب الآخر هو إن الملك عدّ ما رآه في منامه أمراً عظيماً يستلزم البيان، على الرغم من أن الملأ الذين كانوا حوله عملوا جاهدين على تهمين أمر ما رآه، ووصموه بأنه (أضغاث أحلام)، وهذه الصفة التي أطلقوها على رؤيا الملك كان الداعي إليها إصرار الملك على تعبير تلك الرموز التي رآها في منامه، وعجز أولئك الملأ الذين هم علماء البلاط عن تعبير الرؤيا، وهذا الموقف بين الملك والملأ يكشف عن أمرين مهمين:

١- يوسف: ٣٧ - ٤٠.

٢- يوسف: ٤٣.

٣- الإسراء: ٢٠.

أولهما: أن الرؤيا عطاء إلهي شامل لجميع خلقه من دون استثناء.

وثانيهما: أن تعبير الرؤيا هو أمر منوط بخاصة خلق الله سبحانه وهم الحجج المعصومون عليهم السلام لأنهم هم الذين قبلوا أن يكونوا مُعَلِّمِينَ من الله سبحانه دون سائر الخلق، فاستحقوا بذلك أن يمتازوا عن باقي الخلق بتلك الميزة التي ينكشف من خلالها حقهم وعلمهم ومقامهم عليهم السلام.

ولذا على القارئ أن يلتفت إلى أن كون الرؤيا عطاء إلهي عام، وتأويلها لا يؤتى إلا إلى الخواص من عباد الله سبحانه وهم الحجج المعصومون عليهم السلام، دليل على أن الرؤيا سبيل من سبل معرفة الحق ومصداقه، وليس صحيحاً الاعتراف بأنها سبيل لمعرفة الحق دون مصداقه، كما أنه ليس صحيحاً أن يعبرها من لم يكلف بتعبيرها من واهبها، وفي هذا الحال ينكشف زيف أولئك الذين يدعون أنهم يعرفون تعبير الرؤى؛ لأنهم كلفوا أنفسهم ما لم يُكلفوا، وتسقط حجة من يقول أن الرؤى الصادقة هي حصر على الأولياء والأنبياء عليهم السلام، وكأنها عطاء نجوي.

وفي رؤيا الملك جانب ثالث علينا الالتفات إليه، وهو ما يحاول الناس إثارته بوجه هذا السبيل المعرفي الإلهي مفاده، أن الرؤيا حجة على صاحبها وغير ملزمة لغيره!! فاستبان من رؤيا الملك أنها ملزمة للجميع وحجة على الجميع، بدليل أن الناس كلهم راحوا يعملون بمقتضاها، والذين حاولوا التشكيك بحجيتها والاستخفاف بها - أي الملاء - وعملوا بما يرونه هم، وكون هذه الرؤيا غير ملزمة لهم وليست حجة عليهم، حصدوا نتيجة هذا الفعل حيث انهار معبد الكهنة وافتضح باطلهم، واستبان الحق الذي يحمله نبي الله يوسف عليه السلام، ولو كان الرؤيا حجة على من يراها حسب لما لزم تغيير سياسة اقتصاد بلاد كاملة بأهلها وأرضها، ولذا لمن كان يريد معرفة الحق عليه أن لا يتجاهل عبر السابقين، حيث قال الحق سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وتلك القصص هي الرؤى التي يراها الناس فيقصدونها ابتغاء معرفتها وتأويلها، وكذلك كون أن هذه القصص غير منقطعة أو مختصة بزمان دون آخر فهي بوجودها تستلزم وجود من يعبرها، وبما أن التعبير أمر خاص بحجج الله المعصومين، استدعى ذلك أن لا

يخلو الزمان من حجة لله سبحانه (ظاهر مشهور أو خاف مستور)، والخافي المستور تدل عليه تلك الرؤى، فيوسف عليه السلام في بدء أمره كان خافياً مستوراً، فما الذي بين أمره؟؟

في كل مراحل التعريف بيوسف عليه السلام كانت الرؤيا عاملاً في هذا البيان، ففي البداية استبان أمره لأبيه يعقوب عليه السلام عندما قص عليه ما رأى، فعرف يعقوب عليه السلام أن الولاية من بعده ستكون لابنه يوسف عليه السلام، ولذلك أمره بكتمان ما رأى عن إخوته، وأمر يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام بكتمان ما رأى ونهييه إياه أن يقص عليهم رؤياه يدل على أن تلك الرؤيا سيعرف منها أخوة يوسف عليه السلام أن الولاية من بعده أبيهم ستكون في يوسف عليه السلام وليس في أحد منهم، مما يكون باعثاً لأن يحسدوا أحاهم ويعملوا على التخلص منه، ومن ثم لو أن الرؤيا ليست دليلاً يدل على المصداق لكان ما فعله أخوة يوسف بيوسف عليه السلام لا مبرر له من جهتهم، بل وسيكون عبث خال من الغاية، وواقع حالهم يكشف عكس ذلك تماماً حيث أنهم لما سمعوا برؤيا يوسف عليه السلام عمدوا إلى الإسراع في التخلص منه حتى لا يتحقق الأمر الذي عرفوه من الرؤيا، والحال أن أخوة يوسف عليه السلام غير معصومين، ولكنهم عرفوا أن هذه الرؤيا تنبئ بأمر عظيم تنبخر بحصوله كل أحلامهم ومخططاتهم، ولذلك فعلوا ما فعلوا بيوسف عليه السلام، لما استبان لهم من بعده أبيهم أن الولاية عليهم ستكون ليوسف عليه السلام.

والمرحلة الثانية كانت الرؤيا دليلاً للسجناء - وهم الأمة الأولى التي عمل يوسف عليه السلام على تربيتها كي تكون نواة الأمة الموحدة - في معرفة كون يوسف عليه السلام رسول من السماء ويدعو بدعوة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليه السلام، ولذلك راحوا يستمعون إليه ويتعلمون منه تعاليم دين التوحيد.

والمرحلة الثالثة وهي المرحلة المهمة والكبيرة في مسيرة يوسف عليه السلام، أيضاً كانت الرؤيا عاملاً مهماً في تغيير دين العباد وسياسة البلاد، وفضح باطل الكهنة وانحياز عبادة الأوثان.

وفي المرحلتين الثانية والثالثة كان الراؤون ليسوا أنبياء ولا معصومين، بل وغير موحدنين أصلاً، ولكن الرؤيا أخذت بأعناقهم وشكلت حافزاً قوياً لمعرفة الحق وصاحبه، وكذلك وضحت للناس أن الرؤيا لا يعرف تأويلها إلا من كان حجة لله معصوماً، فأمر التأويل غير متيسر إلا للخاص من العباد وهم حجج الله سبحانه.

المبحث الثالث:

الرؤيا في الكتاب المقدس

مرؤيا يوحنا اللاهوتي:

هذه الرؤيا من الشهرة بمكان لا يخفى، ولكن ما خفي على الناس تعبيرها ومعرفة أسرارها التي بقيت حبيسة، وادخرها المعصومون السابقون عليه السلام إلى صاحبها كي تكون دليلاً عليه، وحجة له على الخلق، ولذا كان الطاهرون من آل محمد عليه السلام يصرحون بذلك، حيث ورد عن (أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن الرؤيا، فأمسك عني، ثم قال: **لو أنا أعطيناكم ما تريدون كان شراً لكم، وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر**)^(١).

وهذا التصريح من الإمام الرضا عليه السلام أن الرؤيا من الأمور المدخرة لصاحب الأمر، وأنهم أمسكوا عن الحديث عنها وبيان أسرارها؛ لأن كشف ذلك في غير زمانه وأوانه سيكون شراً لأتباع أهل البيت عليهم السلام، ويكون سبباً في الأخذ برقبة صاحب الرؤيا؛ لأنها ستبين أمره وتكشفه للناس، وكشف هذا الأمر في غير أوانه سيكون به إغانة للطواغيت على أهل الحق، ولكن لما جاء أوانه راحت أسرارها العظيمة تتكشف، فأحدهم يسأل اليماني عليه السلام عن العبارة الواردة في زيارة أم القائم عليه السلام وهي: **(السلام عليك أيتها المنعوتة في الإنجيل)**، أين ورد نعتها في الإنجيل؟؟ فيجيب (سلام الله عليه) قائلاً: **(هذا هو وصف أم القائم عليه السلام)**: "رؤيا يوحنا اللاهوتي: الإصحاح الثاني عشر:

١ وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة امرأة متسريلة بالشمس والقمر تحت رجلها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً. ٢ وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد. ٣ وظهرت آية أخرى في السماء. هو ذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان. ٤ وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يتلع ولدها متى ولدت. ٥ فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعضا من حديد. واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه. ٦ والمرأة هربت إلى البرية حيث لها موضع معد من الله لكي

١- مختصر بصائر الدرجات - للحسن بن سليمان الحلبي: ص ٣٠٩.

يعولوها هناك ألفا ومئتين وستين يوماً ٧ وحدثت حرب في السماء. ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته. ٨ ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. ٩ فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحته معه ملائكته. ١٠ وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء الآن صار خلاص إلينا وقدرته ومملكه وسلطان مسيحه لأنه قد طرح المشتكي على إخواننا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلينا نهاراً وليلاً. ١١ وهم غلبوه بدم الحروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت. ١٢ من أجل هذا افرحي أيتها السموات والساكنون فيها. ويل لساكني الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالماً أن له زماناً قليلاً ١٣ ولما رأى التنين أنه طرح إلى الأرض اضطهد المرأة التي ولدت الابن الذكر. ١٤ فأعطيت المرأة جناحي النسور العظيم لكي تطير إلى البرية إلى موضعها حيث تعال زماناً وزمانين ونصف زمان من وجه الحية. ١٥ فألقت الحية من فمها وراء المرأة ماء كنهه لتجعلها تحمل بالنهر. ١٦ فأعانت الأرض المرأة وفتحت الأرض فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه. ١٧ فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم....." (١).

وقبل ذلك ما كان أحد يعرف أن نعت السيدة نرجس عليها السلام في الإنجيل، واليماني عليه السلام بهذه الإجابة يكشف للمسلمين عموماً علمه ومعرفته ويضع علماء النصارى أمام تحدٍ كبير لا مناص لهم من مواجهته، فكل الذين قاربوا الإنجيل من المسلمين رد عليهم النصارى ونقضوا عليهم، ذلك لأن أولئك المسلمين عرفوا شيئاً من الإنجيل وإشارات غابت عنهم أشياء كثيرة، حيث أوكل أمر بيانها لصاحب هذا الأمر، وها هو اليوم يتحداهم ويضعهم وجهاً لوجه أمام الحقيقة التي حاولوا سترها عن الناس من خلال التغييب المتعمد للوعي، وبهذا البيان الذي ذكره يماني آل محمد عليهم السلام تبين للناس عموماً سواء المسلمين الذين لم يحيطوا بما جاء في التوراة، أو النصارى الذين يدعون أمراً استخفوا به الناس لجهلهم، حقيقة ذكر السيدة نرجس عليها السلام كونها المحمل الطاهر لنور الله المخلص للبشرية من ظلام الأنا وظلمها، ولذا صار اليوم لزاماً على المسلمين والنصارى بيان موقفهم حيال هذه الجوهرة التي أخرجها إلى العلن يماني آل محمد عليهم السلام، وهو قد ألقى في طريقهم امتحاناً لا سبيل لهم لتجاوزه إلا ببيان موقفهم، وهذا من سبل كشف هروبهم عن مناظرته علناً،

وطريق لكشف عجزهم وإفلاسهم، وإلا فكللماته موجودة ومثبتة وسبيل الرد عليها ما زال مفتوحاً، فلماذا هذا الصمت !!!؟ إلا أن يكون عجزاً وخوفاً من الفضيحة.

وكذلك تبينت قضية القائم عليه السلام في رؤيا يوحنا بصورة واضحة لمن كان منصفاً لنفسه وقرأ بحثاً عن الحق والحقيقة، حيث بين أسرار بعض مقاطع هذه الرؤيا يماني آل محمد عليهم السلام في رسالة وجهها إلى جماعة من الأخوة الأنصار يعيشون في أستراليا، وفيها: (وهذه بعض النصوص، من رؤيا يوحنا اللاهوتي، تبين الحق وصاحب الحق:

في الإصحاح الرابع: (١- بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلاً: اصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا. ٢ ولوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس. ٣ وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد. ٤ وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً. ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسرلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ٥ ومن العرش يخرج بروق وعود وأصوات...).

وفي الإصحاح الخامس: (١ ورأيت على يمين الجالس على العرش سفراً مكتوباً من داخل ومن وراء مختوماً بسبعة ختوم. ٢ ورأيت ملاكاً قوياً ينادي بصوت عظيم من هو مستحق أن يفتح السفر ويفك ختومه. ٣ فلم يستطع أحد في السماء ولا على الأرض ولا تحت الأرض أن يفتح السفر ولا أن ينظر إليه. ٤ فصرت أنا أبكي كثيراً لأنه لم يوجد أحد مستحقاً أن يفتح السفر ويقراه ولا أن ينظر إليه. ٥ فقال لي واحد من الشيوخ لا تبك. هو ذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة ٦ ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ حروف قائم كأنه مذبح له سبعة قرون وسبع أعين هي سبعة أرواح الله المرسله إلى كل الأرض. ٧ فأتى وأخذ السفر من يمين الجالس على العرش. ٨ ولما أخذ السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الحروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين. ٩ وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة ١٠ وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فنسملك على الأرض. ١١ ونظرت وسمعت

صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف
 ١٢ قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة
 والكرامة والمجد والبركة. ١٣ وكل خليفة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر
 كل ما فيها سمعتها قائلة. للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد
 الأبدين. ١٤ وكانت الحيوانات الأربعة تقول آمين. والشيخ الأربعة والعشرون خروا وسجدوا
 للحى إلى أبد الأبدين).

وفي الإصحاح الرابع عشر: (ثم نظرت وإذا خروف واقف على جبل صهيون ومعه مائة
 وأربعة وأربعون ألفاً لهم اسم أبيه مكتوباً على جباههم ...).

فمن هو الذي يجمع أنصار أبيه غير أول المؤمنين من ذرية الإمام المهدي عليه السلام ؟ !!!

ومن هم الشيخ الأربعة والعشرون غير الأئمة الاثني عشر والمهديين الاثني عشر ؟ !!!

ومن هو الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود والذي يفتح السفر، ويفك ختومه ؟ !!!
 غير الأسد الذي كر مع علي عليه السلام في خيبر واحد وحنين وبدر ...

وهو من سبط يهوذا؛ لأن أمه من بني إسرائيل (نرجس) أم الإمام المهدي عليه السلام. ومن هو
 الخروف الذي وصف بأنه (خروف قائم كأنه مذبوح) وهو يحمل سبعة قرون وسبعة أعين، هم
 المعصومون الأربعة عشر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام. غير المهدي الأول
 واليماني رسول الإمام المهدي ورسول عيسى عليه السلام.

وفي رؤيا يوحنا الإصحاح السابع عشر: (... ١٢ والعشرة القرون التي رأيت هي عشرة ملوك،
 لم يأخذوا ملكاً بعد لكنهم يأخذون سلطانهم، كملوك ساعة واحدة مع الوحش. ١٣ هؤلاء لهم
 رأي واحد، ويعطون الوحش قدرتهم وسلطانهم. ١٤ هؤلاء سيحاربون الخروف، والخروف يغلبهم،
 لأنه رب الأرباب، وملك الملوك، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون...).

وفي الإصحاح الثامن عشر: (١ ثم بعد هذا رأيت ملاكاً آخر نازلاً من السماء له سلطان
 عظيم واستنارت الأرض من بهائه. ٢ وصرخ بشدة بصوت عظيم قائلاً سقطت سقطت بابل
 العظيمة وصارت مسكناً لشياطين ومحرساً لكل روح نجس ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت (أي

الطائرات الحربية الأمريكية). ٣ لأنه من خمر غضب زناها قد شرب جميع الأمم وملوك الأرض
زنوا معها وتجار الأرض استغنوا من وفرة نعيمها. ٤ ثم سمعت صوتاً آخر من السماء قائلاً اخرجوا
منها يا شعبي لئلا تشتركوا في خطاياها ولئلا تأخذوا من ضرباتها. ٥ لأن خطاياها لحقت السماء
وتذكر الله آثامها. ٦ جازوها كما هي أيضاً جازتكم وضاعفوا لها ضعفاً نظير أعمالها. في الكأس
التي مزجت فيها امزجوا لها ضعفاً. ٧ بقدر ما مجدت نفسها وتنعمت بقدر ذلك أعطوها عذاباً
وحزناً. لأنها تقول في قلبها أنا جالسة ملكة، ولست أرملة ولن أرى حزناً. ٨ من أجل ذلك في
يوم واحد ستأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لأن الرب الإله الذي يدينها قوي. ٩
وسيبيكي وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا معها حينما ينظرون دخان حريقها. ١٠
واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين ويل ويل. المدينة العظيمة بابل المدينة القوية. لأنه في
ساعة واحدة جاءت دينونتك. ١١ ويبيكي تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضائعهم لا يشتريها
أحد في ما بعد. ١٢ بضائع من الذهب والفضة والحجر الكريم واللؤلؤ والبز والأرجوان والحرير
والقرمز وكل عود ثيني، وكل إناء من العاج، وكل إناء من أثنى الخشب والنحاس والحديد والمرمر.
١٣ وقرفة وبخوراً وطيباً ولباناً وخمراً وزيتاً وسميداً وحنطة وبهائم وغنماً وخيلاً ومركبات وأجساداً
ونفوس الناس. ١٤ وذهب عنك جنى شهوة نفسك، وذهب عنك كل ما هو مشحم وبهي، ولن
تجديه في ما بعد. ١٥ تجار هذه الأشياء الذين استغنوا منها سيقفون من بعيد من أجل خوف
عذابها سيكون وينوحون ١٦ ويقولون ويل ويل. المدينة العظيمة المتسريلة بيز وأرجوان وقرمز
والمتحلية بذهب وحجر كريم ولؤلؤ. ١٧ لأنه في ساعة واحدة خرب غنى مثل هذا. وكل ربان
وكل الجماعة في السفن والملاحون وجميع عمال البحر وقفوا من بعيد. ١٨ وصرخوا إذ نظروا
دخان حريقها قائلين أية مدينة مثل المدينة العظيمة. ١٩ وألقوا تراباً على رؤوسهم وصرخوا باكين
ونائحين قائلين ويل ويل. المدينة العظيمة التي فيها استغنى جميع الذين لهم سفن في البحر من
نفائسها لأنها في ساعة واحدة خربت. ٢٠ إفرحي لها أيتها السماء والرسل القديسون والأنبياء
لأن الرب قد دأها دينونتكم ٢١ ورفع ملاك واحد قوي حجراً كرحى عظيمة ورماه في البحر
قائلاً هكذا بدفع سترمي بابل المدينة العظيمة، ولن توجد في ما بعد. ٢٢ وصوت الضارين
بالقيثارة والمغنين والمزميرين والنافخين بالبوق لن يسمع فيك في ما بعد. وكل صانع صناعة لن
يوجد فيك في ما بعد. وصوت رحي لن يسمع فيك في ما بعد. ٢٣ ونور سراج لن يضيء فيك

في ما بعد. وصوت عريس وعروس لن يسمع فيك في ما بعد. لأن تجارك كانوا عظماء الأرض. إذ بسحرك ضلت جميع الأمم. ٢٤ وفيها وجد دم أنبياء وقديسين وجميع من قتل على الأرض).

وبابل تشير إلى العراق؛ لأن بابل كانت عاصمة العراق في ذلك الزمن. فكل الملاحم والفتن تجري في العراق وعلى أرض العراق.

وخراب بغداد ذكره ﷺ بالرايات التي تأتيها من دول العالم وبالفتن.

قال الصادق عليه السلام عن بغداد: (... في لعنة الله وسخطه تخربها الفتن وتركها جماء، فالويل لها ولمن بها كل الويل من الرايات الصفر، ورايات المغرب، ومن يجلب الجزيرة ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب أو بعيد. والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتمردة من أول الدهر إلى آخره، ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف، فالويل لمن اتخذ بها مسكناً فإن المقيم بها يبقى لشقائه، والخارج منها برحمة الله.

والله ليبقى من أهلها في الدنيا حتى يقال: إنها هي الدنيا، وإن دورها وقصورها هي الجنة، وإن بناتها هن الحور العين، وإن ولدانها هم الولدان، وليظنن أن الله لم يقسم رزق العباد إلا بها، وليظهرن فيها من الافتراء على الله وعلى رسوله ﷺ، والحكم بغير كتابه، ومن شهادات الزور، وشرب الخمر و [إتيان] الفجور، وأكل السحت وسفك الدماء ما لا يكون في الدنيا كلها إلا دونه، ثم ليخربها الله بتلك الفتن وتلك الرايات، حتى ليمر عليها المار فيقول: ههنا كانت الزوراء) ^(١).

وفي الإصحاح التاسع عشر: (... ٧ لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامراته هيأت نفسها. ٨ وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً لأن البر هو تبررات القديسين. ٩ وقال لي اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف. وقال هذه هي أقوال الله الصادقة. ... ١١ ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. ١٢ وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا

هو. ١٣ وهو متسريل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله. ١٤ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقياً. ١٥ ومن فمه يخرج سيف ماض (...).

(... ٧ لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها. ٨ وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً لأن البز هو تبررات القديسين ٩ وقال لي اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف. وقال هذه هي أقوال الله الصادقة.). والمدعوون إلى عشاء عرس الخروف هم: (أنصار المهدي الأول اليماني).

(ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. ١٢ وعينه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. ١٣ وهو متسريل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله.). وهذا الذي يركب الفرس في هذه الرؤيا هو المهدي الأول اليماني.

وفي الإصحاح الحادي والعشرون: (... وقال لي اكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمنية. ٦ ثم قال لي قد تم. أنا هو الألف والياء البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً. ٧ من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً...). والألف والياء البداية والنهاية هو الإمام المهدي عليه السلام، والذي يغلب هو نفسه الأسد الذي يغلب في أول الرؤيا وهو المهدي الأول واليماني.

والأمر يطول إذا أردتم استقصاء النصوص فهي كثيرة جداً. لا ينكرها ويجرفها وينكرني إلا أهل الباطل وطلاب الباطل (لعنهم الله).

أطيعوا الله وسيروا إلى الله وانظروا في ملكوت السماوات واسمعوا من ملكوت السماوات، اغسلوا الطين وطهروا أنفسكم واسمعوا الله فهو يتكلم مع الناس في كل شي منذ زمن بعيد ولكن الناس لا يسمعون: ﴿... لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا...﴾^(١).

اشهدوا بما تسمعون وترون في ملكوت السماوات عرفوا الناس بالحق، وادعوا الناس إلى الحق، وادعوا الجميع إلى المائدة التي نزلت من السماء، فرمما لن يحضر إليها من يظهرون أنهم يطيلون الصلاة والدعاء، بل يحضر إليها الزناة وشاربو الخمر والحاطئون فيتوبوا إلى الله، لهذا أنا بُعثت، لإصلاح هؤلاء. طوبى لهم إن تابوا وحضروا إلى مائدة عرس الخروف. طوبى لمن لا يعثر بي.

في إنجيل متى الإصحاح الثاني والعشرون: (١- وجعل يسوع يكلمهم أيضا بأمثال قائلاً. ٢ يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه. ٣ وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا. ٤ فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلاً قولوا للمدعوين هو ذا غدائي أعددت. ثيابي ومسمناتي قد ذبحت وكل شيء معد. تعالوا إلى العرس. ٥ ولكنهم تهاونوا ومضوا واحد إلى حقله وآخر إلى تجارته. ٦ والباقيون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم. ٧ فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم. ٨ ثم قال لعبيده أما العرس فمستعد وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين. ٩ فاذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس. ١٠ فخرج أولئك العبيد إلى الطرق وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين. فامتأ العرس من المتكئين. ١١ فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس. ١٢ فقال له يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس. فسكت. ١٣ حينئذ قال الملك للخادم اربطوا رجله ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. ١٤ لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون...).

كثيرون من النصارى ينتظرون عيسى عليه السلام هذه الأيام ويعلمون أنها أيام عودته وأيام القيامة الصغرى، فبهبوهم إن بعث عيسى عليه السلام كان في المشرق وكذلك عودته، والرسول (المعزي) الذي أخبر عنه في الإنجيل وأن عيسى سيرسله سيكون في الشرق، بل إن الملاحم في آخر الزمان ستكون في الشرق وفي العراق بالخصوص كما ذكرت رؤيا يوحنا وسمت العراق (بابل العظيمة).

أخبروهم أن الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود قد غلب ليفتح السفر ويفك ختومه.

قال علي عليه السلام: (ما من علم إلا وأنا أفتحه، وما من سر إلا والقائم يختمه).

وفي رؤيا يوحنا الإصحاح الخامس: (... هو ذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة ٦ ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ حروف قائم كأنه مذبوح (...).

وفي الإصحاح السادس: (١- ونظرت لما فتح الحروف واحداً من الختوم السبعة وسمعت واحداً من الأربعة الحيوانات قائلاً كصوت رعد هلم وانظر. ٢ فنظرت وإذا فرس أبيض والجالس عليه معه قوس وقد أعطي إكليلاً وخرج غالباً ولكي يغلب ٣ ...).

أخبروهم أن (الحروف القائم المذبح) قد جاء، فمن شاء أن يغسل ثيابه بدمه فليفعل ليظهر ويتقدس ويكون له نصيب في ملكوت السماوات وليرى في ملكوت السماوات) (١).

لعل في هذا البيان كفاية لمن طلب الحق، وأراد معرفة داعي الحق عن طريق ملكوت الله سبحانه وتعالى.

* * *

الفصل الثالث

- الرؤيا في السنة المطهرة لمحمد وآل محمد ﷺ

المبحث الأول:

الأحلام وأقسامها

لعل من الإشكالات الكثيرة التي يحاول الفقهاء اليوم إثارتها بوجه الدعوة اليمانية المباركة، إشكال: من قال أن الذي رأيته في المنام هو رؤيا صادقة وليس إلقاء شيطان أو حديث نفس؟؟ يستندون في إثارة هذا الإشكال إلى ما اتبعوه من نهج في إبعاد الناس عن القراءة والتدبر والعمل على التفقه في الدين بوصف أن التفقه في الدين هو أمر ضروري، ولكن أولئك الفقهاء أبعدوا الناس عن الدين بدعوى أن التفقه في الدين هو واجب كفائي لا واجب عيني، ويتخذون من نهج المغالطة سبيلاً في تمرير هذه الفرية على الله سبحانه وعلى دينه.

فمسألة التفقه في الدين هي واجب عيني على كل الناس، وهو يختلف عن الأمر بالنفرة الذي هو لطائفة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)، فالكفائية هنا واقعة في النفرة لا في التفقه في الدين، وتلك الطائفة عندما تنفر تعود لتفقه الناس كلهم، ولا تجعل ما تلقته من الإمام عليه السلام الذي نفرت إليه حكراً عليها، أو أنها تضعه في نخبة من الناس حسب، ذاك أن أمر الدين يتعلق بالناس كلهم، وهم محاسبون أمام الله سبحانه عليه.

فمسألة الرؤيا في المنام لم يتركها الطاهرون عليهم السلام هكذا عائمة من دون بيان أو تحديد، ولكن فقهاء آخر الزمان عملوا على تجهيل الناس، وخداعهم والتمويه عليهم أن الدين أمر تخصصي، ككل الأمور التخصصية في الحياة، وهذا غير صحيح تماماً بل العكس هو الصحيح، حيث إن الدين تكليف إلهي يشمل كل الناس الذين هم في سن التكليف، ولولا ذلك فلماذا كان هناك سن محدد للتكليف !!!؟؟؟ بمعنى لو كان التفقه بالدين أمراً تخصصياً وهو واجب كفائي - كما يقولون - إذا قام به أفراد يسقط عن الآخرين لكان تحديد سن للتكليف هو أمر خال من الحكمة، فهل يقول أولئك الفقهاء أن تحديد سن التكليف هو أمر خال من الحكمة؟؟ مع الالتفات أن تحديد سن التكليف هو أمر شرعي وليس اجتهادياً.

والرؤيا أمر من أمور الدين التي عمل أهل البيت عليهم السلام على بيانها وإسقاط كل حجة تحاول أن تلبس أمرها على الناس وتجهلهم أمرها، ومن ثم تكون الرؤيا عدواً يجارب ولا تكون سبيلاً معرفياً يُسلك استناداً للقاعدة القائلة: (الناس أعداء ما جهلوا)، فيكتفي الفقهاء في تجهيل الناس بأمر من الأمور الإلهية ليوضع هذا الأمر في خانة العداوة بالنسبة للناس، غير أن الطاهرين عليهم السلام وفي مقدمهم رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتركوا منفذاً يمكن لفقهاء السوء أن ينفذوا من خلاله إلا وأحكموا إغلاقه بوجوههم، وبقي على الناس مسؤولية متابعة ما قال الطاهرون عليهم السلام في كل أمور الدين ومنها الرؤيا ليروا أن محمداً وآل محمد عليهم السلام لم يقولوا أن الرؤيا دليلاً مستقلاً بذاته، ولم يقولوا أن على الناس أن تأخذ دينها من الرؤى، بل أكدوا على أن الرؤيا سبيل من سبل المعرفة وهي بمقام الشهادة الإلهية على أمر من الأمور، فهل يجوز للعبد أن يرد شهادة الله سبحانه وهو يراها في ملكوته !!!؟

وحتى تكون الرؤيا محكمة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعرض صاحب الرؤيا نفسه على القرآن إن كانت الرؤيا شهادة من الله سبحانه تخصه، وكذلك يفهم من حديث الرسول صلى الله عليه وآله أن العرض على القرآن هو سبيل إحكام؛ لأن الرؤيا قادمة من عالم الملكوت، (وهو عالم متشابهات أيضاً) حيث ورد (عن الرسول صلى الله عليه وآله): **لا يغترن أحدكم بالرؤيا يراها أو ترى له، ولكن فيعرض نفسه على كتاب الله صلى الله عليه وآله فإن كان عاملاً به فليفرح، وإن كان غير ذلك فليعلم إنها من الشيطان** ^(١).

فهنا رسول الله صلى الله عليه وآله يبيّن أن الرؤيا تحكم بالقرآن، فهو الميزان كي يعرف الرائي أن رؤياه من الرحمن سبحانه أو من الشيطان (لعنه الله)، فعليه أن يعرض نفسه على القرآن فإن كان عاملاً به فليفرح، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله هنا قد يتبادر منه العرض على القرآن الصامت وقد يفهم منه كذلك العرض على القرآن الناطق، لأن بيان الحال يكون بعرض نفسه على القرآن الناطق في زمنه كونه هو الميزان، والعمل به تدل على التمسك والاعتصام، والمرء لا يعتصم بالكتاب وإنما يعتصم بمعلم الكتاب بوصفه الكتاب الناطق، ورد (عن علي صلوات الله عليه أن قوماً أتوه في أمر في أمور الدنيا يسألونه، فتوسلوا إليه فيه بأن قالوا: نحن من شيعتك يا أمير المؤمنين، فنظر إليهم صلوات الله عليه طويلاً ثم قال: **ما أعرفكم ولا أرى عليكم أثراً مما تقولون، إنما شيعتنا من آمن بالله**

ورسوله، وعمل بطاعته، واجتنب معاصيه، وأطاعنا فيما أمرنا به، ودعونا إليه، شيعتنا رعاة الشمس والقمر والنجوم، شيعتنا ذبل شفاههم، خمص بطونهم، تعرف الرهبانية في وجوههم، ليس من شيعتنا من أخذ غير حقه، ولا من ظلم الناس، ولا من تناول ما ليس له^(١)، وأمير المؤمنين عليه السلام صرح بأنه هو القرآن الناطق وهو الفيصل ليس الكتاب الصامت، ومن يقول غير ذلك فعليه أن يجيب على السؤال الآتي: إذا كان القرآن الصامت هو الفيصل، إذن لماذا تفرق الناس فيه وصاروا طوائف ومللاً ونحلاص، وكتابهم واحد؟؟؟ ولذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لأولئك الذين ادعوا أنهم شيعته إنه لا يعرفهم، ولا يرى عليهم أثر أتباعه عليه السلام، ولذلك علم أولئك أن المسألة ليست قولاً باللسان حسب بل لابد من أثر يصدق القول وهو العمل بعمل علي عليه السلام، فعرفوا من الميزان أنهم ليسوا كما يقولون.

إذن على وفق ما قاله رسول الله ﷺ يجب أن تعرض هذه الرؤيا على القرآن وبعرضها عليه يستبين أمرها إن كانت حقاً من الرحمن، أو باطلاً من الشيطان (لعنه الله)، وبهذا البيان يتوضح للناس أن ما يعد حقاً ليس مطلق الرؤيا في المنام، بل الرؤيا التي يتبين حالها من خلال عرضها على القرآن الناطق، وهو الحجة المعصوم في كل زمان.

بعد هذا البيان من رسول الله ﷺ للرؤيا، يقوم الإمام الصادق عليه السلام بالتفصيل فيها أكثر بحيث لم يُبق لمحتج حجة، حتى أن الرائي هو بذاته يمكن أن يعلم إن كان ما رآه في منامه حقاً أو إلقاء شيطان، أو أضغاث أحلام، حيث ورد عن الصادق عليه السلام: **(الرؤيا على ثلاث وجوه: بشارة من الله للمؤمن، وتخدير من الشيطان، وأضغاث أحلام)** ^(٢). وهذه الرواية الشريفة قسمت الرؤيا إلى ثلاث أقسام هي:

أولاً: بشارة من ال له للمؤمن، قال تعالى: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾** ^(٣)، فالسمع يُسأل عما سمع، والبصر يُسأل عما أبصر، والْفُؤَادُ يُسأل عما وعى، ومثلما يكون السؤال عما سمع العبد وأبصر ووعى في هذا العالم كذلك هو مسؤل عما يسمع ويرى ويعي في عالم الملكوت، بل لعل السؤال عن ذلك العالم

١- دعائم الإسلام - القاضي النعمان المغربي: ج ١ ص ٥٦.

٢- دار السلام: ج ٤ ص ١٥٥.

٣- الإسراء: ٣٦.

أؤكد وأشد؛ لأن ما يسمعه ويراه ويعيه الإنسان في ذلك العالم هو الصدق المحض ولا يخالطه الباطل أبداً؛ لأنه سمع ورأى ووعى في عالم لم يعص الله سبحانه فيه طرفة عين، وربما سؤاله عن عالم الملك يكون أخف من سؤاله عن عالم الملكوت كون هذا العالم الدنيوي لم ينظر إليه الله سبحانه منذ خلقه، وكونه عالماً يعصى فيه الله سبحانه، والصدق فيه أمر نسبي، بينما الصدق في عالم الملكوت هو أمر ثابت لا يتغير ولا يتبدل، وما تتلقاه تلك الأوعية الثلاثة من عالم الملكوت هو العلم، ولذا فهي مسؤولة حين يقفوا الإنسان ما ليس له به علم، ومسؤوليتها هي في شهادتها عليه كونه أعرض عما نقلته إليه من عالم الصدق والطاعة، وتمسك فيما لم تنقله له، بل هو مال إليه بهواه ورغبته على الرغم من خلوه من العلم، وليس فيه غير الزخرف.

وما تنقله تلك الأوعية الثلاثة هو شيء واحد وكل وعاء منها ينقل ما هو مكلف بنقله من أجزاء العلم، فالسمع ينقل الصوت، والبصر الصورة، والفؤاد ينقل المعنى أو حقيقة ما سمع ورأى، وبهذا النقل الثلاثي الأبعاد يستبين للإنسان العلم المنقول من ذلك العالم، ويستفيد من العلم المنقول في تكييف مسعاها باتجاه هدفه الذي من أجله خلقه الله سبحانه وهو معرفة التوحيد، ولا شك في أن نقل العلم من عالم الملكوت إلى هذا العالم يعد من المبشرات والنعم العظيمة التي لا طاقة للعبد على شكرها بوصف ذلك العلم المنقول طهر النفس الإنسانية من ظلمة الجهل، وجعلها تسعى باتجاه الحق سعياً صحيحاً، هذا فضلاً عن نقله إياها من مرتبة متأخرة إلى مرتبة متقدمة في مسار المعرفة الطويل.

فالعلم المنقول من عالم الملكوت إلى هذا العالم هو لون من ألوان البشرية، وهناك لون آخر يتعلق بالإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿^(١)، فقد ورد في بيانها عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (قال رجل لرسول الله ﷺ: في قول الله ﻛَﻠِمَاتٍ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال: هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشر بها في دنياه) ^(٢).

١- يونس: ٦٣ - ٦٤.
٢- الكافي - للكليني: ج ٨ ص ٩٠.

وقد كان من سنة الرسول ﷺ أنه إذا أصبح قال لأصحابه: **(هل من مبشرات)**. يعني الرؤيا^(١)، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى أهمية الرؤيا كونها رافداً من روافد المعرفة المهمة، فهي تعد من وسائط نقل خبر السماء، حيث ورد عن النبي ﷺ قال: **(إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة ...)**^(٢)، ولو تأملنا قول الرسول ﷺ لاستبان منه جملة من الأمور، منها على سبيل المثال لا الحصر:

اقترب الزمان أي وصوله إلى آخره، أي في آخر الزمان سيفتح باب الملكوت وسيرى المسلمون في ملكوت السماوات ما يدلهم على سبيل الحق، ذاك أن اقترب الزمان هو موعد امتلاء الأرض جوراً وظلماً، وهذا يعني أن الناس في تيه عظيم ولا منحي من هذا التيه إلا بالتمسك بدليل المتحيرين وهو الله جل جلاله، والتوجه إليه وهو سبحانه لا يضيع عبده، ولذا فسيكلمه الرب سبحانه ويهديه سواء السبيل، والله سبحانه يكلم عباده بطرق ذكرها هو بقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**^(٣)، ومن هذه الطرق هي الرؤيا حيث يوحى إليه في منامه ما يهديه سواء السبيل وينقذه من حيرته وتيهه، ومن قول الرسول ﷺ نستنتج أن الرؤيا في آخر الزمان لا سبيل للتشكيك فيها كونها طريق هداية للناس من مضلات الفتن.

يؤكد رسول الله ﷺ على أن الرؤيا عند اقتراب الزمان تكاد لا تكذب، أي إنها قريبة جداً من الصدق كأنها صادقة، وجعلها قريبة من الصدق وليست هي الصدق لكي يعرف الناس إن الرؤيا وإن كانت قادمة من عالم الملكوت وهو عالم الصدق والطاعة إلا إنه عالم متشابهات، كذلك فما يراه الإنسان فيه قد لا يقع كونه من لوح الحو والإثبات أو أنه يقع ولكن على احتمالات كثيرة، وهنا بهذه الإشارة المهمة يريد أن يقول لنا رسول الله ﷺ أن لا بد لما يراه المسلم من تأويل كي تستبين رؤياه وتحكم، وهذا الأمر يتطلب أن يكون في ذلك الزمان من أوتي علم التأويل، ومن الثابت أن هذا العلم هو علم إلهي لا يتحصل بالتعلم، بل هو من خصائص الراسخين في العلم، والراسخون في العلم هم آل محمد ﷺ حصراً وتخصيصاً، وبذلك نفهم أن لا بد في ذلك الزمان

١- المصدر نفسه.

٢- صحيح مسلم - كتاب الرؤيا: ح ٦٠٤٢.

٣- الشورى: ٥١.

الذي يفتح به باب الملكوت على الناس من وجود حجة من آل محمد ﷺ يُحكّم تلك الرؤى التي تكاد لا تكذب، وهذه الرؤى هي دالة على الحق.

وفي آخر الزمان بحسب ما ذكرت الروايات عن الطاهرين هناك حجتان سيظهران، الحجة الأولى يكون ظهوره للتمهيد والإعداد، والثاني هو الحاكم العادل (ملك يوم الدين)، والناس تحتاج الملكوت إعداداً واستعداداً ولذا فالذي سيؤول لها تلك الرؤى هو الحجة الممهد لملك يوم الدين وهو الذي ذكرته وصية رسول الله ﷺ بأنه أول المؤمنين، وأن له ثلاث أسامي؛ اسم كاسم رسول الله ﷺ واسم أبيه وهو عبد الله وأحمد والاسم الثالث المهدي^(١). ولذا ففي قول الرسول ﷺ إشارة واضحة إلى وجود دليل حاكم للرؤيا كي ينقلها من ساحة (تكاد لا تكذب) إلى ساحة الإحكام في أن يبينها ويؤلفها.

وقول الرسول ﷺ: **(وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا)** يدل على أن الذي يرى في الملكوت أموراً تتحقق على أرض الواقع تكون رؤاه تلك شاهدة له بصدق الحديث، وقول الرسول ﷺ هذا رد على القائلين أن الرؤيا حجة على صاحبها، فالرسول ﷺ يؤكد على أن صدقها دليل على صدق حديث رائيها، والحديث الصادق المقطوع بصدقه هو شهادة لا سبيل إلى ردها إلا بالطعن في حديث رسول الله ﷺ، وفي حال حدوث ذلك يخرج صاحبه من الملة، فصاحب الرؤيا الصادقة هو صادق الحديث وشهادته معتبرة ولا سبيل لردها، إلا بالتمرد على قول رسول الله ﷺ الذي هو سنة ملزمة لكل مسلم.

وكون الرؤيا جزء من خمس وأربعين جزء من النبوة فهذا دليل على أن المنقول من الملكوت هو وحي ومن ثم فهو كلام الله سبحانه، وما الرائي سوى ناقل للحق، وهذا الناقل لا سبيل للطعن عليه؛ لأن المنقول هو من أجزاء النبوة، ومن يطعن في جزء من أجزاء النبوة فقد طعن بالنبوة كلها ويكون بذلك قد خرج من دين الله سبحانه.

فهذا الحديث الشريف يبين للقارئ أهمية الرؤيا وخاصة إذا اقترب الزمان، أي إذا بلغ الناس آخر الزمان الذي فيه تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، ويظن الطواغيت أنهم لنجحوا في قطع الصلة بين السماء والأرض، ويتوهمون أنه لا سبيل لتقويض ملكهم فيأتيهم الله سبحانه من حيث لا

١- ينظر: كتاب الغيبة للطوسي: ص ١٥٠.

يحتسبون بفتح باب الملكوت وإصلاح ما حاول أولئك تخريبه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بفتح باب الملكوت ينماز الخبيث من الطيب، ويحيى من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

وهذا القسم هو المسمى بـ (الرؤيا)، وكونها مبشرة تحتل أن تكون كاشفة عن مقام العبد عند ربه الذي تحصله بالسعي الجاد باتجاه رضا الله سبحانه، حيث يقول عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾^(١)، ولعل دلالة الشكر الإلهي تستبين من خلال رؤيا مبشرة يراها المؤمن أو تُرى له تطمئنه أنه سائر بالاتجاه الصحيح نحو الغاية المرجوة، وقد يكون التبشير بالتحذير فمن محبة الله سبحانه لعبده أن يحذره في نومه أن في سعيه الذي هو منهمك فيه ما يصرفه عن الغاية الحق فعليه أن يحذر وينتبه ويؤوب إلى سبيل الحق، وهذا الإنذار هو نوع من التبشير كون العبد سائراً إلى الغاية الحق ولكنه في مرحلة من المراحل غفل أو قصر، ومحبة الله سبحانه له يحذره في منامه من مغبة ذلك التقصير والغفلة، فيكون ذلك التحذير حافزاً للعمل الجاد وبدقة ووعي وانتباه أكثر كي لا ينحرف العبد في سعيه عن جادة الصواب.

وكذلك ورد عن هشام بن سالم، أبي عبد الله عليه السلام، قال: (سمعتَه يقول: رأي المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزءاً من أجزاء النبوة)^(٢)، وهذه الرواية الشريفة تشير إلى أمر هو غاية في الأهمية ألا وهو جعل الرأي والرؤيا في ميزان واحد وهو ميزان الصدقية، أي إنهما صادقان تماماً، ولولا صدقهما لما كانا جزءاً من أجزاء النبوة، وهذا الصدق يثير سؤالاً مفاده؛ أ هذا الصدق ذاتي أي من ذات المؤمن أو أنه من فعل عامل خارجي؟؟

والقول بأنه ذاتي يستلزم عصمة المؤمن ذاته وهذا لا يقول به أحد لا من قبل ولا من بعد، ذلك أن هناك الكثير من المؤمنين كانوا قبل آخر الزمان ولم يكن رأيهم ورؤياهم كحالها في آخر الزمان، فلماذا هذا الحصر بمؤمني آخر الزمان؟؟ أو أن في آخر الزمان يكون هناك عاصم يعصم المؤمن في رأيه ورؤياه فيكون بذلك على بصيرة من أمره ويرى بنور الله، والمعلوم أن نور الله هو الحجة المعصوم في كل زمان، فمؤمن آخر الزمان لا بد أن يكون معتصماً بعاصم يجعل من رأيه

١- الإسراء: ١٩.

٢- شرح أصول الكافي - للمازندراني: ج ١١ ص ٤٧٦.

ورؤياه من أجزاء النبوة، وكذلك هناك أمر آخر يعزز تلك الميزة لمؤمني آخر الزمان كون الحجة العاصم لهم هو أول المؤمنين - بحسب ما ورد في وصية رسول الله ﷺ - وهذا يعني أن من يلحق بأول المؤمنين يكون مؤمناً ويصدق على رأيه ورؤياه ما قاله الإمام الصادق عليه السلام، ولولا وجود الحجة العاصم لما كان لرأي المؤمن ورؤياه ميزة يمتاز بها عن غيره من المؤمنين الذين لم يكونوا في آخر الزمان ولم يوصف رأيهم ورؤياهم بتلك الصفة، فضلاً على أن الرؤيا لها جهة اختصاص وملازمة مع صاحب الأمر في آخر الزمان كونها علامة دالة عليه، ومبينة لأمره، ولذلك ورد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: (سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن الرؤيا، فأمسك عني ثم قال: "لو أنا أعطيناكم ما تريدون كان شراً لكم، وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر")^(١).

ثانياً: التحزين أو التخدير من الشيطان (لعنه الله): لاشك في أن عمل الشيطان (لعنه الله) يتركز في قطع سبيل الله بوجه العباد وصرفهم عن الغاية الحق من خلال التزيين وسياسة الترغيب والترهيب، وبما أن النفس في المنام لم يعد لها شغل مع الجسد، وهي لا تنام فتتوجه باتجاه الملكوت ويستوفيهها الله سبحانه إلى ملكوته كي تتزود بزيادة المعرفة الحق.

وللشيطان معها محاولتان: الأولى عند عروجها عندما يصرفها عن عالم الملكوت ويقطع طريقها ويربها ما يحدرها، وإذا لم يفلح في هذه المحاولة فهو يترصدها عن عودتها فيقطع عليها الطريق بأن يلقي فيما حملت من الملكوت ما يكون سبباً في حزنها فيسمى إلقاءه تحزيناً، ومن المعلوم أن ما يلقيه الشيطان سواء في طريق عروج النفس أو عودتها هو لا يخرج عن دائرة السفه، وليس غايته منه إلا تشكيك الرائي فيما رأى في ملكوت السموات، فهو - أي الشيطان (لعنه الله) - يعلم علم اليقين أن لا حيلة في قطع سبيل الملكوت، ولا يمكنه ذلك أبداً؛ لأنه سبيل الهداية بين الرب سبحانه وعباده، فلا أقل من أن يقوم بتلك الأعمال التي من شأنها أن تجعل النفس في عروجها أو عودتها تلتفت فتغفل عن السبيل، وفي تلك اللحظات من الغفلة يلقي الشيطان في عطاء الملكوت محاولاً تخريب هذا العطاء وإفساده، ولكن الله سبحانه حريص على عباده وقد كفل لهم سبيل الهداية والعصمة، وهذه العصمة إما أن تكون مباشرة منه عندما يكون إلقاء الشيطان (لعنه الله) في سبيل المعصوم، ومثال على ذلك ما حصل لرسول الله ﷺ وبينه

الإمام أحمد الحسن عليه السلام عندما توجه أحدهم بسؤاله عليه السلام عن معنى الإلقاء في الآية الكريمة، فأجاب عليه السلام:

(سؤال / ٤٢: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(١).

ما معنى إلقاء الشيطان في أمنيّة النبي ؟

الجواب: ما من رسول ولا نبي - وعن أهل البيت و (لا يحدث)^(٢)، وهم محدثون^(٣) - وتمنى - أي رجا حصول أمر من أمور الخير التي علم من الله حصولها ولو إجمالاً في بعض الأحيان، أي أنّ أمنيته متأتية من أمر الله سبحانه، لا أنّها من هوى النفس ورغباتها كما يتوهم بعض الناس - ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي بعد أن يبدأ الرسول (سواء كان رسولاً أم نبياً أم محدثاً) بإظهار رجائه للناس الذين تابعوه في دعوته، يقوم الشيطان بالإلقاء الباطل في صدور بعض هؤلاء الناس حول أمنيّة الرسول التي أظهرها لهم أو أظهر بعضها.

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ بإرسال ملائكة يلقون في صدور بعض هؤلاء الناس الحق الذي يبين باطل ما ألقى الشيطان في صدور بعضهم.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يحكم الله آياته بإلقاء الطمأنينة والسكينة والوقار واليقين في قلوب الذين آمنوا، بعد أن ألقى في قلوبهم العلم منه سبحانه بأنّ الحق ليس ما ألقاه

١- الحج: ٥٢ - ٥٣.

٢- كما قرأها أهل البيت عليهم السلام، عن الحكم بن عتيبة، قال: (دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام يوماً فقال: يا حكم، هل تدري الآية التي كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعرف قاتله بها ويعرف بها الأمور العظام التي كان يحدث بها الناس؟ قال الحكم: فقلت في نفسي قد وقعت على علم من علم علي بن الحسين، أعلم بذلك تلك الأمور العظام، قال: فقلت: لا والله لا أعلم، قال: ثم قلت: الآية تخبرني بها يا ابن رسول الله؟ قال: هو والله قول الله عزّ ذكره: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدث)" وكان علي بن أبي طالب عليه السلام محدثاً. فقال له رجل يقال له عبد الله بن زيد كان أخوا علي لأمه: سبحان الله محدثاً؟! كأنه ينكر ذلك، فأقبل علينا أبو جعفر عليه السلام فقال: أما والله إن ابن أمك بعد قد كان يعرف ذلك، قال: فلما قال ذلك سكت الرجل، فقال: هي التي هلك فيها أبو الخطاب فلم يدر ما تأويل المحدث والنبي الكافي: ج ١ ص ٢٧٠ ح ٢.

٣- انظر: الكافي: ج ١ ص ٢٧٠ ح ٢، باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهمون.

الشیطان في قلوب بعضهم، بل هو ما يدعو إليه الرسول. وإلقاء الشيطان يكون بالوسوسة في القلب، أو بالإراءة الخبيثة في اليقظة أو في النوم، وهو يلقي لأوليائه الذين هيمنت عليهم أنفسهم وحب (الأنا) والظهور والقيادة والرئاسة الباطلة واتباع الهوى.

﴿هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينَ ﴿١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (١).

أما نسخ الله لما يلقي الشيطان فيكون بإرسال ملائكة يوحون لأولياء الله الحق، ويكلمون المؤمنين في قلوبهم، ويعرفونهم الحق، ويرونهم في المنام واليقظة ما يعلمون به الصراط المستقيم، وأنّ اتباع الرسول هو الحق المبين من الله سبحانه وتعالى، وأنّ الذين اتبعوا إلقاء الشيطان وهو فتنة لهم لم يكونوا مؤمنين في السابق، بل كانوا منافقين في قلوبهم مرض وقلوبهم قاسية، وهم في ريبهم وشكهم يترددون.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٣﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٢).

ويظل المنافقون والكافرون بالرسالة في شك إلى آخر لحظة ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾: أي حتى قيام القائم عليه السلام، ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾: أي لا مثل له لم تلد مثله سنة من السنين السابقة وهو يوم قيام القائم عليه السلام. وفي هذا اليوم الملك لله؛ لأن الملك الحاكم في هذا اليوم هو الإمام المهدي عليه السلام (٣).

ومن أمثلة الإلقاء؛ إلقاء الشيطان في رؤيا سيدة نساء العالمين لتحزينها - التي ذكرناها سابقاً - وقد يقول قائل كيف يتمكن الشيطان (لعنه الله) أن يلقي في رؤيا الزهراء عليها السلام كونها معصومة والشيطان لا سبيل له على المعصومين؟؟؟ هذا القول صحيح ولكن ليس على إطلاقه، فهو لا

١- الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣.

٢- الحج: ٥٣ - ٥٦.

٣- من كتاب المتشابهات: الجزء الثاني.

سبيل له على المعصوم الحجة المكلف بقيادة الناس وهدايتهم، أما إذا كان المعصوم محجوجاً بحجة فالعاصم له الله سبحانه والحجة الذي عليه، ولذلك الزهراء عليها السلام كان العاصم لها الرسول ﷺ فسرعان ما بين لها أن الجزء المحزن في رؤياها إنما هو من إلقاء الشيطان (لعنه الله)، وبهذا الأحكام عصمها رسول الله ﷺ وأخزى الله الشيطان (لعنه الله) وفضحه. حيث ورد عن تفسير علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾^(١)، حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن عبد الله عليه السلام قال:

(كان سبب نزول هذه الآية أن فاطمة عليها السلام رأت في منامها أن رسول الله ﷺ هم أن يخرج هو وفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة، فخرجوا حتى جاوزوا من حيطان المدينة فتعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين حتى انتهى بهم إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله ﷺ شاة كبراء وهي التي في إحدى أذنيها نقط بيض، فأمر بذبحها فلما أكلوا ما توا في مكانهم، فانبهت فاطمة باكية ذعرة فلم تخبر رسول الله بذلك.

فلما أصبحت جاء رسول الله ﷺ بحمار فأركب عليه فاطمة عليها السلام وأمر أن يخرج أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة كما رأت فاطمة عليها السلام في نومها. فلما خرجوا من حيطان المدينة عرض له طريقان، فأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين كما رأت فاطمة عليها السلام حتى انتهوا إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله ﷺ شاة كبراء كما رأت فاطمة، فأمر بذبحها فذبحت وشويت، فلما أرادوا أكلها قامت فاطمة وتنحت ناحية منهم تبكي مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله ﷺ حتى وقع عليها وهي تبكي، فقال: ما شأنك يا بنية؟ قالت: يا رسول الله، [إني] رأيت كذا وكذا في نومي وقد فعلت أنت كما رأيته فتنحيت عنكم فلا أراكم تموتون. فقام رسول الله ﷺ فصلى ركعتين ثم ناجى ربه، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد، هذا شيطان يقول له الدهار، وهو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغمون به، فأمر جبرئيل فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنت أريت فاطمة هذه الرؤيا؟ فقال: نعم يا محمد، فبزق عليه ثلاث بزقات،

فشجحه في ثلاث مواضع. ثم قال جبرئيل لمحمد: قل يا محمد إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه، أو رأى أحد من المؤمنين، فليقل: أعود بما عادت به ملائكة الله المقربون وأنبياءه المرسلون وعباده الصالحون من شر ما رأيت ومن رؤياي، وتقرأ الحمد والمعوذتين وقل هو الله أحد وتتفل عن يسارك ثلاث تفلات، فإنه لا يضره ما رأى، وأنزل الله على رسوله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ - الآية - (١).

ويستفاد من هذا الخبر أن ما رآته الزهراء عليها السلام نجوى من الشيطان (لعنه الله) ليؤدي الزهراء عليها السلام إذ لا سبيل له عليها إلا بالأذى والتحزين، وهذه العلامة الأولى التي تجعل المؤمن عندما يرى ما يحزنه ويؤذيه وهو قطعاً غير ما يحزده وينبهه، فالتحذير غير التحزين فعليه أن ينتبه أن هذه نجوى من الشيطان (لعنه الله).

والعلامة الثانية: الرؤيا نفسها ليس فيها رسالة تنقل أمراً من الملكوت فيه إخبار أو بشرى أو تحذير، وإنما هي فقط تراتب أحداث الغاية منها إحداث الحزن، وحتى وقوع هذه الأحداث في الواقع لا يدل على أن ما رآه الرائي هو حق لانطباق ما رآه من أحداث على أرض الواقع هكذا حسب بل لا بد أن يكون من انطباق هذه الأحداث رسالة من الملكوت كأن تكون إخبار بأمر سيقع أو بشرى أو تحذير، وما حدث مع الزهراء عليها السلام تراتب أحداث لا يُقرأ فيه شيء سوى تحزينها عليها السلام، والأمر المهم في هذه الرؤيا هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله يبين أن ما يراه النائم ينبغي أن لا يُتغافل عنه بل على الرائي الاستبانة، ومن ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وآله لكل مرئي تخريجاً، ففي هذا الحدث الذي حصل مع الزهراء عليها السلام يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وآله أدب التعامل مع مثل تلك الرؤى، ولم يقل لنا صلى الله عليه وآله كذبوها وأعرضوا عنها، وما يراه النائم لا اعتبار له، بل بيّن أن ما يلقي الشيطان (لعنه الله) في منام النائم هو دائماً سفه، والغاية من هذا الإلقاء هو لتشكيك الرائي بسبيل الاتصال بالغيب من جهة، ومن جهة أخرى إدخال الحزن والغم على نفسه، وبيان رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الأمر كاف تماماً لكي لا يأخذ الناس هذا الأمر بعمومية يصادرون من خلالها رؤيا الملكوت بحجة احتمال أن تكون نجوى من الشيطان (لعنه الله)، فالرؤيا بينة، ونجوى الشيطان بينة ولا تداخل بينهما.

على الرغم من أن الذين يحاولون التلبس في أمر الرؤيا يعلمون تماماً أن ما يفعلونه لا يعدو أن يكون سحابة صيف لا تمطر ما يتمنون ولا تبقى طويلاً كي تنجح في حجب الحقيقة أطول وقت ممكن، فالرؤيا من مراتب المعرفة، بل لعل موقعها الوسطي في نقل المعرفة يجعل لها أهمية كبيرة جداً، باعتبار أنها تنقل من واقع هو مهيم على واقع الحياة الدنيا، ولذلك فهي إخبار إلهي عما سيقع، أو هي بيان إلهي لحقيقة ما ارتفع إليه سبحانه من أعمال ترتقي بصاحبها فيريه الله سبحانه في الملكوت ما ييشره، أو أعمال تزري بصاحبها فيريه ما يحذره كي يعمل على محاسبة نفسه ومراقبة فعله، وليس هناك أحد من الناس يتجاهل إخبار الملكوت بغض النظر عن كون الرائي من عامة الناس أو من خاصتهم، من المتعلمين أو من غير المتعلمين، فالرؤيا تأخذ به ويسعى جاداً ليجد من يعبرها إليه، أما ما نصطدم به اليوم من إنكار الناس وخاصة الفقهاء على صاحب الدعوة اليمانية والتشكيك بالرؤيا كونها شهادة قادمة من عالم لا يعصى الله فيه طرفة عين وهو المهيم على عالم الملك، على الرغم من أن آباءه الكرام عليهم السلام جعلوا أمر الرؤيا مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعصر الظهور وما يتعلق به، حيث ورد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: (سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن الرؤيا، فأمسك عني ثم قال: "لو أنا أعطيناكم ما تريدون كان شراً لكم، وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر" ^(١)).

فإمسك الإمام الرضا عليه السلام عن الإجابة وتعليه ذلك الأمر كونه يتعلق برقبة صاحب الأمر وبشيئته يكشف عن خطورة هذا السبيل المعرفي كونه ناقلاً للمعرفة الحق التي لا سبيل لردها، فضلاً على أن الروايات التي تحدثت عن الصيحة السماوية تعد دالة دلالة قطعية أن تلك الصيحة السماوية هي صيحة ملكوتية، ومن سبل اتصال الملكوت بعالم الملك؛ الرؤيا، فبأي لسان ينكر اليوم الفقهاء غير العاملين ومقلديهم شهادة الملكوت، ويقبلون الشهادة في عالم الملك، على الرغم من أن عالم الملكوت هو عالم الصدق والطاعة والعالم الذي يخلو من المعصية خلواً تاماً، بينما عالم الملك هو عالم يختلط به الكذب بالصدق والطاعة بالمعصية، كونه عالماً للابتلاء والاختبار ليحيى من حيٍّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

* * *

المبحث الثاني :

أركان الرؤيا

تبنى كل معرفة على أركان أربعة: ثلاثة منها ظاهرة ورابع يكون غيباً، وأعني بتلك المعرفة هي المعرفة الإلهية، بل أكاد أجزم حتى المعرفة البشرية هي كذلك بوصفها فرع على المعرفة الأصل ورشحة من رشحاتها، وأركانها مستمدة منها، وربما تتشابه أركان المعرفة فيهما ظاهراً، ولكن ما يجعل الفرق بينهما يبدو واضحاً هو كون الركن الرابع الغيبي في المعرفة البشرية متعلقاً بالفكر البشري والعقل البشري بوصفه مصنع الأفكار غير المرئي وغير المحسوس، ولعل مشكلة هذا الركن كائنة في جهة التلقي التي يتلقى منها بوصفه ركناً اعتبارياً وليس حقيقياً، أي أن الناس اعتبروه ركناً وحقيقته لا ترقى إلى ذلك إلا بتعلقه بالغيب الحق ومن ثم يكون الركن هو الغيب الحق وليس عقل الإنسان، بل إن عقل الإنسان كماله وسلامته مرهونة بتمسكه بالغيب الحق، أما إذا تمسك بجهة أخرى فهنا يقع الوهم في تصوره ركناً غيبياً وهو ليس كذلك.

أركان المعرفة الإلهية الظاهرة هي:

أولاً: المكان، ثانياً: الزمان، ثالثاً: الإنسان (المعلم)، وبما أن الرؤيا سبيل من سبل المعرفة الإلهية كان لا بد من توفر تلك الأركان فيها، كما أن وجود تلك الأركان كاشف عن أن هذا السبيل هو سبيل معرفة، وفقدان أي ركن من تلك الأركان يجعل المعرفة ناقصة أو ربما غير حقيقية ومن ثم لا نفع فيها، ومن أمثلة المعرفة غير النافعة ما ورد عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: **(دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هذا ؟ فقيل: علامة، قال: وما العلامة ؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار والعربية، قال: فقال النبي ﷺ: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه. ثم قال النبي ﷺ: إنما العلم ثلاث: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل)** ^(١).

فلنحظ أن رسول الله ﷺ سماه علماً ولكن هذا العلم لا ينفع من عرفه، ولا يضر من جهله؛ لأنه معرفة غير حقيقية، بينما المعرفة الحقيقية هي الآية المحكمة، أو الفريضة العادلة، أو السنة

القائمة، ذلك لأن هذه الأقسام الثلاثة تتوفر فيها أركان المعرفة الحق؛ المكان والزمان والإنسان الممثل للغيب، بوصفه الرسول المبعوث فيها، أما علم الأنساب والأيام والأشعار فهو علم لا ارتباط له بالغيب، وإنما غاية ما يرتبط به هو ما ينتجه وهم الناس.

ويعد ضرورياً التعرف على أركان الرؤيا بوصفها سبيلاً معرفياً إلهياً، وهذه المعرفة ستغلق الباب بوجه الذين يحاولون جاهدين التشكيك بهذا السبيل، من دون أن يلتفتوا إلى أن التشكيك حسب هو دليل على جهل المتشكك، ولا يعد طعنا بالمشكك به، فكيف والدليل قائم على حجية الرؤيا !!؟؟ وأركان الرؤيا هي:

المكان: أي الساحة التي تقع فيها الرؤيا، وميدان حضورها، وبعد أن استبان في المبحث الأول أقسام الرؤيا، وعرفنا أن الرؤيا الحق ميدانها الملكوت وهذا العالم هو عالم الصدق والطاعة المطلقة، وهو عالم خال تماماً مما يخجل بالصدق، ومبرأ عما يخجل بالطاعة، ولذا ما يُرى في هذا العالم لا سبيل للتشكيك فيه، ولا يشكك فيه إلا من لا يؤمن به، والذي لا يؤمن بعالم الملكوت يشهد على نفسه أنه لا حظ له في ذلك العالم، فهو مما لا يقع في ذاكرته، وانتفاء ذلك العالم من ذاكرة المكلف يدل على أن هذا المكلف هو من منكري ذلك العالم في الامتحان الأول وهو امتحان الاختيار الذي فيه اختار الناس كلهم مقاماتهم، وما وجودهم في عالم الملك إلا لتأكيد ذلك الاختيار بالتذكر، فمن تذكر أن له قدماً في الملكوت رأى وصدق ما يرى في ذلك العالم، والذي لا قدم له في ذلك العالم فحتى لو رأى فيه ما رأى فهو سينكره؛ لأنه في ذاك الامتحان أعرض عن الملكوت وجهل ما فيه من حق ومعرفة (والإنسان عدو ما يجهل)، ولذا فهو ينكر ما يراه في ذلك العالم ويعرض عنه ولا يقيم له وزناً.

الزمان: وهو الركن الثاني من أركان الرؤيا، ولقد بين الطاهرون عليهم السلام هذا الركن وأحكموه للناس حتى لا يبقى لمحتج حجة، فقد ورد عن أبي بصير، قال: (قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد؟ قال: **صدقت، أما الكاذبة** [ال] **مختلفة فإن الرجل يراها في أول ليلة في سلطان المردة الفسقة، وإنما هي شيء يخيل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها، وأما الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع**

حلول الملائكة وذلك قبل السحر فهي صادقة، لا تخلف إن شاء الله إلا أن يكون جنباً أو ينام على غير ظهور ولم يذكر الله ﷻ حقيقة ذكره فإنها تختلف وتبطل على صاحبها^(١).

فالإمام عليه السلام يبيّن أن ما يراه النائم في أول الليل في سلطان المردة الفسقة إنما هي خيالات يلقيها أولئك المردة في ساحة النائم وهي كاذبة مخالفة، ووصفها بالكاذبة كونها لا تحمل معرفة حقيقية، ووصفها بالمخالفة كون رموزها تأتي متعارضة مشتتة لا تحمل رسالة معينة للنائم.

ومن المعلوم أن الرؤيا الصادقة هي رسالة من الملكوت فلا بد أن تكون رموزها دالة على الحكمة وتكون مؤتلفة دالة على أمر معرفي فيه هداية للرائي، أما زمن الصادقة فهي تلك التي يراها النائم في الثلث الأخير من الليل أي عند اقتراب السحر واختلاف الملائكة على الأرض، فهذا الوقت يبدأ ملائكة الليل بالرحيل إلى السماء وينزل ملائكة النهار إلى الأرض، ففي هذا الوقت كأن الإمام عليه السلام يخبر عن أن أنفس النائمين واقعة في سلطان الملائكة الصادقين ولذا ما يرونه في منامهم هو رؤى صادقة، ولا تختلف بمشيئة الله إذا كان النائم طاهراً أي أنه نام على ظهور ولم يجنب، ونام وهو ذاكراً لله سبحانه، أما إذا سقط أحد هذه الشرائط فإنها قد تختلف وتبطل على صاحبها، وما يفهم من هذه الرواية الشريفة أن زمن الرؤيا ركن مهم يكشف عن مدى صدق ما يرى النائم، مع توفر شرائط الطهارة في النائم.

وورد عن الإمام الصادق أنه قال: (أسرعها تأويلاً رؤيا القيلولة)^(٢). ولعل المراد بأسرعها تأويلاً؛ أسرعها انطباقاً على الواقع الخارجي، ووقت القيلولة هو الساعة من النهار التي تسبق الزوال، والرؤيا في تلك الساعة ثابتة محكمة لا تختلف بحسب ما يذكر أهل البيت عليهم السلام، والمتدبر في أوقات الرؤيا يلحظ بوضوح أن الرؤيا كلما اقتربت من انتشار النور كانت أثبت وأصدق وأسرع تأويلاً مع توفر شروط الطهارة في الرائي، وكلما اقترب وقتها من الظلمة واشتدادها كانت الرؤيا مخالفة وكاذبة كونها تقع في سلطان المردة الفسقة، ولعل في هذا التوضيح علامة للرائي كي يتأكد أن رؤياه التي تقع في أوقات الإشراق والنور هي رؤيا من الملكوت وتأويلها - أي وقوعها في الواقع الخارجي - يأتي سريعاً، وأن ما يراه في أول الليل وعند اشتداد الظلمة إنما سلطان المردة الفسقة عليه يجعله كاذباً متخلفاً، فيعرف أن ما يراه في ذلك الوقت ليس بذي شيء إلا أن يكون فيه ما

١- الكافي - للشيخ الكليني: ج ٨ ص ٩١.

٢- بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥٨ ص ١٩٥.

يدفع عنه سلطة المردة الفسقة، كأن التكون الرؤيا بمعصوم من المعصومين عليه السلام فهذا أمر استثنائي، وأولئك المردة الفسقة لا سلطان لهم على ملكوت فيه المعصوم عليه السلام، بل وجود المعصوم عليه السلام فيه كاف لعصمته وسرعة تأويله.

وما ينبغي علينا الالتفات إليه هو أن ركن الزمان مهم في الرؤيا، ولكن هناك ركن إذا توفر فيها يختزل كل الأركان، أو بعبارة أخرى لا يكون لركن الزمان أهمية كالتي تكون في غياب ذلك الركن، وهو ركن الإنسان، فإذا رأى النائم في منامه أحد المعصومين عليه السلام فعندها لا يكون للزمن اعتبار سواء كانت الرؤيا في أول الليل أو في آخره، فهذه الرؤيا صادقة قطعاً، استناداً إلى ما (... قال سليم: فقلت لمحمد: من تراه حدث أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء الخمسة بما قالوا؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه يراه في منامه كل ليلة، وحديثه إياه في المنام مثل حديثه إياه في الحياة واليقظة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي في نوم ولا يقظة ولا بأحد من أوصيائي إلى يوم القيامة". قال سليم: فقلت لمحمد بن أبي بكر: من حدثك بهذا؟ قال: علي عليه السلام. فقلت: وأنا سمعته أيضاً منه كما سمعت أنت...^(١).

فوجود المعصوم عليه السلام في الرؤيا يكون عاصماً لها، ودليلاً على صدقها، ولا بد من التنبيه على أن الرائي يرى أحد المعصومين عليه السلام تحديداً رؤية محكمة لا يرى شخصاً ثم إذا استيقظ ويراجع نفسه يقول كأني رأيت المعصوم عليه السلام؛ لأن الرؤيا بالمعصوم عليه السلام تأتي كفلق الصبح فلا مجال فيها للتكهن والتصور والظن، ودخول الظن على الرؤيا دليل على أن الرائي لم ير المعصوم عليه السلام قطعاً بل تهيأ له ذلك أو ظن أنه رأى معصوماً، وفي الواقع هو لم ير غير ما عبر عنه أهل البيت عليهم السلام بـ (المتكون) أو (المذهب)، وفيما يخص المتكون ما ورد في (رجال الكشي: وجدت بخط جبرئيل بن أحمد، حدثني محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن حماد بن عثمان، عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أخبرني عن حمزة أ يزعم أن أبي آتية؟ قلت: نعم، قال: كذب والله ما يأتيه إلا المتكون، إن إبليس سلط شيطاناً يقال له: المتكون، يأتي الناس في أي صورة شاء، إن شاء في صورة كبيرة وإن شاء في صورة صغيرة، ولا والله ما يستطيع أن يجيء في صورة أبي عليه السلام)^(٢).

١- كتاب سليم بن قيس - تحقيق محمد باقر الانصاري: ص ٣٥٠ - ٣٥١.

٢- بحار الانوار - للعلامة المجلسي: ج ٢٥ ص ٢٨١.

لذا ما كان يراه حمزة هذا ليس هو الإمام عليه السلام بدليل قول الإمام الصادق عليه السلام: (أ يزعم (...)، فادعاه أن الإمام الباقر عليه السلام يأتيه إنما هو زعم وليس حقيقة، وربما كان هذا الآتي يأتيه في صورة كبيرة يتوهمها الرائي إن هذا الآتي معصوماً وهو ليس كذلك، ولذلك بين الإمام الصادق عليه السلام حقيقة ما كان يرى حمزة الكذاب، وربما يجدها البعض هنا فسحة للإشكال ويقول: هذا الأمر يخصكم، فمن قال أن الذي ترونه هو المعصوم عليه السلام وليس المتكون؟؟؟ وربما يكون هذا الإشكال وارداً لو أن الرائي يدعي أمراً بخلاف الثابت شرعاً، هذا أولاً، وثانياً: أن الرؤيا تستلزم وجود معصوم بينها، ولذا من حكم على كذب الرائي هو الإمام الصادق عليه السلام وليس غيره، وهذا الأمران غير متوفران في ما يراه الناس اليوم؛ فما يرونه هو مطابق للثابت شرعاً فهو يستند إلى أمر شرعي ثابت بالنص، وما الملكوت غير شاهد للثابت نصاً كي يستيقن الرائي ولا يخالجه الشك، ولذا فمن يتوفر له اليقين بالداعي استناداً إلى النص فهو لا يحتاج إلى أن يرى شهادة الملكوت للداعي، بل ربما سيكون نهج الرؤى على سبيل التبشير أو التحذير في حال حدوث ما يجعل المؤمن يقصر في أمر أراد له الله سبحانه بلوغه.

إذن فهذا المتكون هو لا يأتي بصورة نبي ولا وصي نبي قطعاً، هذا أولاً، وثانياً: يحمل هذا المتكون ما يكون الثابت الشرعي خلافه، وهنا ينكشف كذبه واختلافه، ولذلك الكثير من الذين ينصبون العداء للأولياء عليهم السلام يأتون ليحتجوا على الأتباع بالرؤيا زاعمين أنهم رأوا المعصوم عليه السلام وأخبرهم أن هذا الداعي ليس حقاً وهو كذا وكذا، ولذا فهؤلاء يزعمون أن الذي رأوه هو المعصوم عليه السلام بدليل أن المعصومين قرروا حقيقة ثابتة حينما قالوا: **(كلامنا في المنام ككلامنا في اليقظة)**، بمعنى أن ما يخبرون به في اليقظة لا يختلف في النوم، بل يأتي نفسه تماماً فيكون ما في اليقظة معزراً بما في النوم، وما في النوم مثبتاً في اليقظة، فكيف يقول المعصومون عليهم السلام: أن الداعي الذي يحتج عليكم بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق؟؟؟ ثم يأتي المعصوم في المنام لينقض ما هو ثابت في اليقظة؟؟؟؟!! ولذلك فأولئك الزاعمين لهذا الأمر سرعان ما ينكشف لهم قبل غيرهم أنهم ما رأوا معصوماً أبداً، بل ما رأوا من صورة ربما كانت كبيرة تخيلوها معصوماً وهي ليست كذلك.

وكذلك هناك شيطان آخر يسمى المذهب، حيث ورد في (رجال الكشي: محمد بن مسعود، عن علي بن محمد بن يزيد، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي نصر، عن علي بن عقبة، عن أبيه، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسلمت وجلست، فقال لي: **وكان في مجلسك**

هذا أبو الخطاب ومعه سبعون رجلاً كله إليهم يتألم منهم شيئاً، فرحمتهم فقلت لهم: ألا أخبركم بفضائل المسلم؟ فلا أحسب أصغرهم إلا قال: بلى جعلت فداك. قلت: من فضائل المسلم أن يقال له: فلان قارئ لكتاب الله ﷻ، وفلان ذو حظ من ورع، وفلان يجتهد في عبادته لربه، فهذه فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات إنما المسلمون رأس واحد، إياكم والرجال فإن الرجال للرجال مهلكة، فإني سمعت أبي العباس يقول: إن شيطاناً يقال له المذهب، يأتي في كل صورة إلا أنه لا يأتي في صورة نبي ولا وصي نبي ولا أحسبه إلا وقد تراءى لصاحبكم فاحذروه) (١).

هذه الرواية تحكم أمر المرئي في المنام، فقد يرى الرائي فلاناً - الذي هو بحسب ما يعرفه - الورع المجتهد في العبادة ويخبره بأمر من الأمور، كأن يشهد له في ذلك الأمر، فعلى الرائي أن لا يتخذ تلك الشهادة حجة ودليلاً؛ لأنه شهد له فلاناً الورع في الملكوت بحسب ما رأى، فهذه الرؤيا متشابهة لا بد من وجود معصوم يحكمها، ففعل المرئي الذي يظنه الرائي رجلاً صالحاً هو في حقيقته ليس كذلك، ولذلك يستغل هذا الشيطان (المذهب) حسن ظن الرائي بفلان فيأتيه بصورته ليخبره بما يبعده عن الحق، ويزج به في ساحة الضلال، ولذلك قال الإمام العباسي: (فإن الرجال للرجال مهلكة)، ولكن يمتنع على هذا المذهب أن يأتي في صورة نبي أو وصي نبي، لماذا؟؟؟ لأن النبي ووصي النبي هما كلمة الله التي يحتج بها على خلقه، وكلمة الله تامة محكمة؛ لأنها كلمة هداية وعصمة من الضلال، لذا فليحذر الرائي عندما يرى فلاناً وهو ليس بنبي ولا وصي، ولا يأخذ ما يراه منه من قول أو فعل حجة يتمسك بها، إلا بعد أن يستحصل الأحكام من المعصوم الحجة العباسي.

وكذلك مما يتعلق بركن الزمان في الرؤيا اختصاص الرؤيا بآخر الزمان وكأن ذلك الزمان ستكون الرؤيا دالة على إيمان المرء بالغيب وتمسكه به، وستكون الرؤيا بذلك ميزاناً يستبين من خلاله المرء مدى ارتباطه بالغيب، وحقيقة إيمانه، ولذا ورد عن النبي ﷺ، قال: (إذا اقترب الزمان لم تكن رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المؤمن جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوة) (٢).

١- بحار الأنوار - للمجلسي: ج ٢٥ ص ٣٢٥ - ٣٢٦.
٢- شرح أصول الكافي للمازندراني: ج ١١ ص ٤٧٦.

إن اقتراب الزمان هو كناية عن آخر الزمان، أي اقتراب الزمان من نهايته، فعند ذلك الزمان تكون رؤيا المسلم، أي المصدق بالغيب رؤيا صادقة؛ لأنها شهادة قادمة من عالم الملكوت، وربط رسول الله ﷺ صدق حديث المسلم بصدق رؤياه، فمن كانت نفسه ساحة للملكوت فلا شك في أن لسانه سيكون معبراً عما انطبع في صفحته مما أتى من الملكوت، فيصطبغ لسانه بالصدق لاصطباغ صفحته بالصدق كونها استحالت صفحة للملكوت، ولا يأتي من عالم الملكوت غير الصدق، واصطباغ صفحة المسلم بصبغة الملكوت تجعله موصوفاً بالنبوة؛ لأن ما ينقله بلسانه مما انطبع في صفحة وجوده من الملكوت هو إخبار بالغيب، والنبوة هي إخبار بالغيب غير أن هذا المسلم وإن اتصف بالنبوة فيما ينقل عن الملكوت إلا إنه لا يسمى نبياً، ومعلوم أن الاتصاف بالنبوة هو غير التسمي بها، فكل من ينقل من الملكوت هو متصف بالنبوة ولكنه ليس نبياً أي لا يسمى نبياً؛ لأن النبوة - اسماً - ختمت بمحمد ﷺ، ولكن ختم الاسم لا يعني ختم الصفة، بل هي مستمرة كما أخبرت بذلك روايات الطاهرين عليهم السلام وخاصة فيما يخص الرؤيا، فكون الرؤيا جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوة يكشف عن أن ما يتصف به الكل هو واقع على كل أجزائه، فاتصاف كل طرق الاتصال الغيب بأنها نبوة دال على أن وصف النبوة شامل للرؤيا كذلك، وكذلك ورد عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سمعتة يقول: **رأى المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزءاً من أجزاء النبوة**)^(١).

الإنسان: أي المصدق الكامل للإنسانية المتمثل بحجة الله في كل زمان، وهذا الحجة رؤيته في الملكوت هي هي فلا يتمثل الشيطان به، وشهادته في الملكوت هي ذاتها شهادته في الملك، ولذلك يوجه هذا الإنسان المكلفين بطاعته إلى سؤال الغيب كي يتوضح لهم صدق ما يدعوهم إليه، وأن أمره لهم وتكليفه إياهم ليس لرغبة في نفسه أو هوى في سلطة كما يتوهم السواد الأعظم من الناس - وللأسف -، فما دعوة ذلك الإنسان إلا لأنه مكلف بذلك من الله سبحانه، وأي تقصير في تبليغ الناس يعرض ذلك الإنسان إلى الوقوف طويلاً أمام ربه سبحانه للحساب، ولذا يستبين للناس لماذا هذا الإصرار والاجتهاد في التبليغ على الرغم من أن ما جاء يبلغ به هذا المبعوث هو بالضد تماماً لما هو سائر ومسير لواقع الناس، ولذا يرى الناس في هذا

المبعوث ناقوس خطر يقرع بساحتهم فيتوهمون أن حضوره بين ظهرانيهم سيجلب لهم الهلاك والشقاء، ويستغل هذا الوهم الطواغيت بعد أن يعمل فقهاء السوء في نفخ هذا الوهم وتضخيمه حتى يوصلونه إلى أن يكون هو الحقيقة في أنفس الناس ولا حقيقة غيره.

فيهرع الناس إلى معاداة ذلك المبعوث الإلهي، وبداعي الرحمة بالناس وتقديراً للانحراف الهائل الذي حصل في سبيل المعرفة الحق (الدين) الذي أحدثه العلماء غير العاملين، وتخريبهم للسبيل بين الناس وبين ربهم سبحانه، وحرفهم لذلك السبيل بعد تخريبه ليجعلوا من أنفسهم أنهم هم غاية السبيل وعندهم محط رحال الخلق، ويعتاد الناس على هذا الحال حتى يصلوا إلى مرحلة اللاعودة، فيكون كلام العلماء مصداقاً حتى وإن كان ظاهر البطلان إذا ما وزن بميزان الله سبحانه وهو القرآن، ويرد كلام داعية الحق على الرغم من انطباقه بل وتماويه بالقرآن، ولا يبقى للداعي إلا توجيه الناس إلى الغيب وطلب الشهادة منه، وليس هناك من سبيل عام شامل يتصل به كل الناس بالغيب غير سبيل الرؤيا بالملكوت، باعتبار أن كل الخلق قادمون من ذاك العالم بوصفه عالم الامتحان الأول، وكلهم عارف أن ذاك العالم هو عالم الصدق والطاعة، ولكن ماذا يفعل علماء السوء ليقطعوا هذا السبيل على الناس، وإن لم يستطيعوا قطعه فلا أقل من تشكيكهم به وبما يرد عنه من خلال التلبس والتدليس عليهم، فبالتلبس يخلطون ما هو عالم الملكوت بما هو من العالم السفلي أو من إلقاء الشيطان (لعنه الله)، وبالتدليس يأتون بأقوال الطاهرين عليهم السلام ويجرونها في غير مجراها عندما يفترضون افتراضات تستفز مشاعر الناس وتنفرهم من هذا السبيل، كأن يقولوا لهم - مثلاً - : (إذا رأيت في المنام أنك تؤمر بقتل أبيك فهل ستقوم بقتله !!!) وهم يعلمون أن الجواب سيكون ب: لا).

ومن هذا الجواب يدخلون فيقولون للناس: من ذلك يدل أن الأمر في الرؤيا غير ملزم ولا اعتبار له !!! وهم بذلك يهيئون ذهن الناس إلى رفض شهادة الملكوت للداعي بالحق ورفض الأمر بطاعته، أو يقومون بالاستشهاد بنصوص من خلال اقتطاعها من سياقها حتى يبدو للقارئ المتأمل أن سبيل الرؤيا لا يعدو أن يكون سبيلاً هامشياً يتعلق بشخص الرائي، وأن ما يراه حجة تلزمه هو ولا تلزم سواه، وما رآه من شهادة ملكوتية لا تلزم غيره.

وهذا العمل الذي يقوم به فقهاء الضلالة يؤخر الكثير من الناس ويعطلهم عن اكتشاف الحقيقة، ولذا فامتحان الناس بحجة الله في زمانهم يتطلب منهم أن يتحرروا من سلطة الفقهاء وينظروا في أدلته التي يقدمها لهم وهي لا شك في أنها أدلة من علمي الغيب والشهادة، وأكثر أدلة الشهادة إحصاءاً هو النص على الداعي (الوصية)، فهذا الدليل دليل قاطع وبرهان ساطع لا سبيل إلى رده إلا بدليل نصي ينقضه - لا أقل - يكون بقوته، ودون ذلك خرط القتاد.

ولكي تحيط الحجة بالناس يستدل الداعي على حقه بشهادة الملكوت، ويطلب شهادة الله سبحانه له في ذاك العالم، ويكلف الناس طلب تلك الشهادة التي من أظهر طرقها وأبينها وهو طريق الرؤيا، ومن هنا نفهم لماذا حرص آل محمد ﷺ على إيكال مسألة بيان كل ما في أمر الرؤيا إلى زمانها وهو زمان صاحب الأمر لتعلقها به، ولأنهم ﷺ لو كانوا قد بينوا للناس أسرارها لكان في ذلك عون للطواغيت وفقهاء السوء في الإعداد والاستعداد والعمل على تخريب هذا السبيل وحرمان الناس من رحمة الله النازلة من عالم الملكوت بفضله ومنه ﷻ، فأولئك هم من قال عنهم أمير المؤمنين العليّ: **(قد أعدوا لكل حق باطلاً، ولكل قائم مائلاً)** (١).

فكان إعراض الطاهرين ﷺ عن البيان وإحاطتهم لأمر الرؤيا بالسرية سبيل مباحة لأولئك الفقهاء الضالين، حيث أنهم في زمان انفتاح على الملكوت على عالم الملك لا يكون بين أيديهم ما يستطيعون به قطع ذلك السبيل، ويكون هو سبب فضحهم وخزيمهم، وبالمقابل الشهادة لصاحب الحق بالحق، والأمر بطاعته.

إن من المعلوم لدى الناس أن المعرفة الحق لا تكتمل إلا باستبانة أركان ثلاث ظاهرة، والركن الرابع يكون ركن الإيمان بالغيب، ومن خلال استبانة تلك الأركان يكون تمسك العبد بالركن الرابع تمسكاً يقينياً مستنداً إلى المعرفة، وهذه الأركان هي المتنافيات المكونة لعالم الوجود، وهي: الإنسان بوصفه المكلف بالمعرفة، والزمان بوصفه عنصر السباق وبه تعرف سرعة العمل والحركة، والمكان بوصفه ميدان السباق والعمل، ويكون الركن الرابع هو ركن التعلق بالغيب استناداً إلى المعرفة المتحصلة من سعي الإنسان بالزمن المناسب في المكان المناسب، وكلما تناسبت تلك المتغيرات كانت المعرفة المتحصلة بدرجة تجعل الإنسان لاحق بالغيب وملتصق به، وإذا ما حصل العكس

أي تنافرت يكون الإنسان بذلك مبتعداً عن ساحة الغيب، ولما كان الغيب حريصاً على هداية المخلوق إليه وتقريبه منه زوده بكل ما يمكنه من تحقيق ذلك القرب، فبيّن له المكان المناسب للقرب، والزمان المناسب، والرجل المناسب، ولم يبق على المكلف غير التمسك بتلك المتناسبات على وفق المنهج الإلهي، وعليه أن يستفيد من كونها مراقبي إلى الغيب توصله إلى الغاية التي من أجلها خلق.

ولعل المكان استبان للقارئ كون الرؤيا مكانها الملكوت، وهو - كما ذكرنا - العالم الذي لا يُعصى الله سبحانه في طرفة عين، ومن ثم هو المكان المناسب تماماً لتحصيل معرفة تدفع بالمكلف إلى الأمام وترتقي به إلى مراد خالقه منه، ويأتي بعد معرفة المكان، معرفة الزمان.

* * *

مبحث :

تعلق الرؤيا بصاحب الأمر

بعد أن تعرفنا مما مر سابقاً أن الرؤيا هنا قناة اتصال ملكوتي ينقل من خلالها خبر السماء إلى أهل الأرض، وهي في آخر الزمان يكون لها حضور بارز كونها تعبر عن اتصال عالم الملكوت بعالم الملك اتصالاً وثيقاً، وبدء التمهيد للعودة إلى عالم النشأة الأولى، العالم الذي تقرر فيه من محض الإيمان محضاً، ومن محض الكفر محضاً، وتؤكد هذا الأمر في هذا العالم، لذا فستكون العودة بشارية أخرى تضاف إلى بشارية قيام دولة العدل الإلهي في هذا العالم التي بقيامها رغم أنف المشركين وقهروا.

وتلك البشارة الثانية هي انتصاف أهل الحق من أهل لباطل، ولذا يفهم من ذلك أي من اقتراب عالم الملك من الملكوت وإعادة التواصل بينهما في آخر الزمان أن أمة هناك هُيئت لهذا الأمر العظيم وصارت قادرة بفضل الله ورحمته على احتمال عطاء الملكوت الذي أعرض عنه الناس طوال هذه المسيرة الواسعة المساحة للحياة البشرية على الأرض.

فالبشرية على طول مسيرتها كانت تعالج معرفة الحرفين من العلم، إلى أن وصل الزمان إلى قائم آل محمد الذي سيقوم بنشر الخمسة والعشرين حرفاً ويضم الحرفين إليهم ليكمل السبع والعشرين، وهذا الأمر لو انتبهنا هو الغاية من الخلق، أي المعرفة، والمعرفة لا تتم إلا بتمام حروفها، والسبعة والعشرون حرفاً من العلم هي ليست حضوراً عرضياً حسب بل حضور ارتقائي يرتقي بمعرفتها العارف إلى المقامات القادرة هذه السبعة والعشرين حرفاً على إيصاله لها، وهذا واضح حتى في وجود ظلال هذه الأحرف، وأعني أحرف اللغة الثماني والعشرين، ومنازل القمر الثماني والعشرين، فأحرف اللغة الثماني والعشرين بعقدتها وتشكيلها وتأليفها يستبين ما كان في صفحة الغيب وصفاً، وكذلك بتصفح مراتب القمر الثماني والعشرين يبدأ التدرج من الظلمة المشوبة بنور حتى يصل إلى النور المشوب بظلمة في ليالي التشريق، ثم يعود إلى الظلمة المشوبة بنور حتى يغيب النور في يوم وبعض يوم وفي غيابه دلالة العجز عن المعرفة، وكأن بمسيرة القمر نبدأ من ظلمة الوجود أي من العالم الجسماني ومن ثم نرتقي باتجاه النور حتى بلوغ ليلة اكتمال البدر وتمامه، وفيها دلالة على حصول الاكتمال وسد النقص في صفحة وجود الإنسان، ومن ثم نشرع في

العودة إلى الظلمة مرة أخرى، وهذه الظلمة هي ليست كالظلمة الأولى بل هذه الظلمة التي تدل على بيان حقيقة الخلق، والأولى كانت لبيان حقيقة الحق، فالتى كانت لبيان حقيقة الحق أوصلتنا بمسيرها إلى النور الكامل التام الممكن للخلق معرفته، والتي هي لبيان حقيقة الخلق كشفت عن حقيقة فقر المخلوق وأنه لولا النور ما قامت له قائمة ليعرف أن لا حول ولا قوة إلا بالله سبحانه.

ولعل التحول من الظلمة إلى النور في الأولى بينه الجزء الأول من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والمرحلة الثانية بينه قوله تعالى: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فبنورك عرفناك، وبنورك قمنا ونستقيم ولولاه عدنا عدماً، وهذه الصورة النورانية التي تشير لها حركة القمر بمنزله على الأرض هي ذاتها المسيرة التي على الخلق أن يعرفوها ويعملوا على السعي فيها، وحتى الأحرف اللغوية هي كذلك صورة أخرى لبيان حقيقة سبيل المعرفة، حيث يحتاج الناطق إلى عدد من الأحرف والجمل والتراكيب والعبارات يؤلفها وينظمها لإظهار فكرة ما من ساحة الغيب إلى ساحة الحضور ليشرح القارئ بعد ذلك للاستعانة بها لإنارة فكره وإزاحة ما يمكن إزاحته من الجهل، ولذلك سميت هذه الأحرف بأحرف العلم؛ لأنها الحامل للنور الإلهي الذي به تنزاح الظلمة عن سبيل البشرية، وبه تستعين البشرية على العمل والقيام بمهامها من بعد ما استبان لها الغاية الحق.

ولما كان على العبد أن يرتقي في سلم المعرفة، وأن هذا العالم الجسماني هو نقطة شروع، وعليه كي يشرع في سبيل المعرفة من الوصول إلى خط الشروع وهو عالم الملكوت الذي منه يكون التزود بالمعرفة، أي سد النقص وتحصيل الكمال، ولا يسد النقص ويُحصَل الكمال إلا بمعرفة أحرف العلم السبعة والعشرين وهي الأحرف الممكن معرفتها للعباد غير آل محمد ﷺ، ومن خلال هذه المعرفة يمكن للعبد أن يعرف معنى الولاية استناداً للرسالة، ومن خلال هذه المعرفة يمكنه أن يكون صورة المعرفة التي أرادها الله سبحانه، وهي الصورة التي صنعها.

قال تعالى: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلَتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾^(١)، وكذلك ليكون العبد العارف شهادة للمعلم الولي ﷺ أمام الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١)، وبما أن المطلوب من المعرفة هو أن يكون العبد صورة لسيدته، والمعلم ﷺ قد أحرز هذه الدرجة ولذلك بعثه الله سبحانه معلماً، ولكن الامتحان هو في صنع تائبين على صورة المعلم، ولذلك ورد عنهم صلوات الله عليهم: **(فإننا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا)**^(٢)، وربما يذهب فكر القارئ إلى الصنع المادي، وإن كان هذا ولكن الصنع المقصود هو الصنع المعرفي، أي جعل العباد يتخلقون بأخلاق الله سبحانه، كما تخلق المعلم.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**^(٣)، وتلك المكارم يكون تمامها بالمعرفة، وهذه المعرفة لا تتحصّل من هذا العالم، بل تحصيلها يكون من عالم الملكوت باعتباره خط الشروع للمعرفة، أما هذا العالم فهو عالم الإعداد والتهيئة والانطلاق إلى خط الشروع ذاك، وهذه المهمة العظيمة أنيطت بمحمد وآل محمد ﷺ، إذ لا طاقة لأحد غيرهم على حملها، ولذا كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بوصفه المتمم لمكارم الأخلاق، وبه ﷺ تم نزول تلك المكارم من عليائها إلى هذا العالم كي يتخلق الناس بها.

ولقد كان آل محمد ﷺ منذ رسول الله ﷺ حتى القائم العليّ ﷺ كلما بعث منهم أحد عرضها على الناس، فيقبلها نفر قليل ويعرض عنها معظم الناس، ولذلك ورد عن: (عبد الله بن محمد، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن عمرو بن شمر، عن أبي جعفر العليّ ﷺ، قال: **إن حديثنا صعب مستصعب، أجرد ذكوان وعر شريف كريم، فإذا سمعتم منه شيئاً ولانت له قلوبكم فاحتملوه واحمدوا الله عليه، وإن لم تحتملوه ولم تطيقوه فردوه إلى الإمام العالم من آل محمد ﷺ، فإنما الشقي الهالك الذي يقول والله ما كان هذا، ثم قال: يا جابر، إن الإنكار هو الكفر بالله العظيم)**^(٤).

وكذلك ورد عن: (أحمد بن إبراهيم، عن إسماعيل بن مهزيار، عن عثمان بن جبلة، عن أبي الصامت، قال: أبو عبد الله العليّ ﷺ: **إن حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعر لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن.** قلت: فمن يحتمله جعلت

١- هود: ١١٢.

٢- نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع): ج ٣ ص ٣٢.

٣- مسند الرضا (ع) - داود بن سليمان الغازي ص ١٣١.

٤- بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار: ص ٤٢.

فذاك؟ قال: **من شئنا يا أبا الصامت**، قال أبو الصامت: فظننت أن الله عباداً هم أفضل من هؤلاء الثلاثة^(١).

ففي الرواية الأولى يرشد الطاهرون عليهم السلام إلى صعوبة حديثهم والأمر بالصبر عليه، فلعل قول المعصوم عليه السلام (لا تطيقوه) أي لا تصبروا عليه، كما يحدثنا بذلك الحق سبحانه في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٥).

ولعل القارئ يلتفت إلى أن سبب عدم الصبر منشؤه هو الالتفات إلى الأنا في كل مقام، ذاك أن الصبر يعني أن العبد إذا عرض عليه أمر لا يطيقه يتوجه إلى الله سبحانه ويبقي نفسه محبوسة على ما يأتي من ربه وهذا الحبس طالت مساحته أو قصرت هو قهر للأنا وقتل لها، وإحياء للنفس به سبحانه وهذا هو المطلوب من المعرفة، فما دام لكل سؤال جواب عند العبد فلا شك ولا ريب سيقول دائماً (أنا)، أما إذا عرض عليه ما لا جواب لديه عنه فسيوجه إلى الغني ويحبس نفسه عليه بغض النظر عن حصوله على الجواب أو لا ليعلم أنه مهما بلغ من العلم والمعرفة فلا سبيل له إلا العجز، وأعلى مراتب التعبير عن العجز هو الصبر، وللصبر تمثلات: فصبر عند

١- المصدر نفسه.

٢- الكهف: ٦٧.

٣- الكهف: ٧٢.

٤- الكهف: ٧٥.

٥- الكهف: ٧٩ - ٨٢.

العطاء، وصبر على البلاء، وصبر عند المنع، حتى يصل العبد أن من فضل الله عليه سبحانه أن أوجده من العدم وشرفه بأن استعمله وصيره عبداً له، ومن هنا نفهم كيف كان محمد ﷺ عبد الله، ولا يوصف من دونه بعبد الله حتى يكون صورة منه ﷺ.

لعل امتداد ساحة الابتلاء حتى زمن القائم عليه السلام هو كي تظهر بين يديه ثلة من المؤمنين قادرين على أن يطبقوا هذا الأمر، ويعتبروا من موقف موسى عليه السلام، فالاعتراض على ولي الله هو محبط للصبر، ومن ثم يقلل من درجة العبد، أو هو تعبير عن نقص في معرفة العجز عن المعرفة، فالمعرفة أمر مطلق كونها متعلقة بالمطلق فلا بدء لها ولا منتهى، ولذلك عند وصول العبد إلى مرتبة الكمال يتوضح له هذا الأمر جلياً، حيث تستبين له حقيقته أنه فقير ولا غنى له عن الغني، ولذا سيكون تعلقه به تعلق العشق، فمن يعرف النور حق معرفته لا يسعه إلا أن يأنف من الظلمة، ويتمسك بالنور تمسك المستوثق، ويستشعر حقيقة الخوف من أن يخرج من ساحة النور؛ لأنه يعلم تمام العلم ليس خارج ساحة القدس تلك إلا الظلمة والهلاك.

ومن خلال هذا الفهم المتقدم نستشعر مدى حرص الطاهرين عليهم السلام على تلك الأمة التي تكون في آخر الزمان، وعنوانها صاحب الأمر، بل هو رأسها، حيث نلاحظ أن الإمام الرضا عليه السلام وهو المعلم مع أحب أتباعه لا يسعه إلا الإمساك عن بيان الرؤيا وتفصيلاتها، حيث ورد: (وعنه عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن الرؤيا، فأمسك عني ثم قال: "لو أنا أعطيناكم ما تريدون كان شراً لكم، وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر")^(١).

وليس بعد بيان الإمام الرضا عليه السلام بيان، حيث يكشف هذا الخبر الشريف عن أهمية الرؤيا وارتباطها بالقائم عليه السلام وكونها مبينة لحاله ولأمره، وحاله وأمره سر من سر الله سبحانه ائتمن عليه أوليائه فامتحنهم بالإمساك، وامتحن شيعتهم بالصبر، حتى يبلغ الكتاب أجله، فالروايات الواردة عنهم عليهم السلام التي تعطي علامات لصاحب الأمر يعرفها الناس من خلال الرؤيا، ومسألة الرؤيا متعلقة بالغيب تعلقاً كبيراً، ولذا يحتاج الناس إلى أن يعرفوا معنى الإيمان بالغيب حتى يفقهوا سبله،

وكي تكون تلك المعرفة لا بد أن يكون هناك مبعوث من الغيب يمتحن الناس به، وهذا المبعوث هو الذي يدعو الناس إلى هذا الأمر، كي تنكشف معرفتهم بالغيب ومدى إيمانهم به.

فغيبية الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام هي الغيب المقصود، ولا أحد ينكر إمامته خاصة من أولئك الذين ينتحلون مودة آل محمد عليهم السلام، فكيف يكون الكشف عن حقيقة هذه المودة وبيانها؟؟ يكون بمبعوث من الإمام الغائب، ويأتي هذا المبعوث محتجاً بكل سبل الاحتجاج التي احتج بها من سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ولعل من أهم هذه السبل التي هي كاشفة عن حقيقة الإيمان هو سبيل الرؤيا لأنه علاقة مباشرة مع الغيب، ومن خلالها يتم معرفة المبعوث والشهادة له في عالم ما عصي الله سبحانه فيه، وهو عالم الملكوت، وإلى ذلك أشارت عدد من الأخبار منها:

● قال الوليد: (فأخبرني جراح، عن أرطاة، قال: فيجتمعون وينظرون لمن يبائعون فيبيناهم كذلك إذ سمعوا صوتاً ما قاله إنس ولا جان بايعوا فلاناً باسمه ليس من ذي ولا ذو ولكنه خليفة يمانى) ^(١).

سمعوا صوتاً ما قاله إنس ولا جان، أي هذا الصوت هو ليس من فعل الإنس وهنا إشارة لطيفة إلى أن يمكن للإنس أن يصدروا صوتاً يصل لكل الأسماع بما يمتلكون من تقنيات في زمن ذلك الصوت، ولا قاله جان حتى يقال عنه أنه لا حقيقة له ولا اعتبار به، وإنه سحر وما إلى ذلك من التقولات، إذن من يبقى من المخلوقات التي لها ذلك غير الإنس والجان؟؟ لم يبق غير الملائكة والملائكة صوتها من الملكوت، وهذا الصوت المسموع ومن الملكوت سبيله الرؤيا، وكذلك: (بايعوا فلاناً)، وهذا يعني أنه أمر إلهي فالملائكة لا تنطق بالهوى، وهل يأمر الله سبحانه ببيعة (فلان) وهو ليس من الحجج المنصوص عليهم؟؟!! حاشا لله سبحانه، ولعل سائل يسأل: إذا كان من الحجج ومنصوص عليه إذن لماذا (بايعوا فلاناً) ولم يصرح باسمه؟؟ وجواب هذا السؤال في إمساك الإمام الرضا عليه السلام عن إعطاء كل ما يتعلق بالرؤيا، وقول الخبر: (ليس من ذي ولا ذو) وهذا النفي يبين أن هذا الخليفة ليس من أهل ذي ولا ذو أي ليس من أهل ذلك اللسان، وإنما أصله منهم وربما هو يسكن في غير ديارهم، حيث روى ابن حماد: ص ١٠٣ حدثنا

بقية وعبد القدوس، عن صفوان، عن شريح بن عبيد، عن كعب، قال: (ما المهدي إلا من قريش، وما الخلافة إلا فيهم غير أن له أصلاً ونسباً في اليمن) ^(١).

إذن هذا الخليفة اليماني بحسب هذا الخبر هو المهدي وله أصل ونسب في اليمن، وهذا الأمر بيّنه يماني آل محمد عليه السلام في المتشابهات الجزء الرابع في الحديث عن حدود شخصية اليماني الموعود لمن شاء الاستزادة، واليماني بحسب ما بينت روايات الطاهرين عليهم السلام هو صاحب راية الهدى، والراية هي الدعوة إلى الهدى وهذه الدعوة لاشك في أنه مسؤولية أول المؤمنين بإمامة الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان، وبالعودة لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله التي أملاها ليلة وفاته على علي عليه السلام تتبين لنا شخصية أول المؤمنين صاحب راية الهدى ^(٢)، وهو خليفة المهدي.

● ورد في أحمد في مسنده: حدثنا وكيع، عن شريك، عن علي بن زيد، عن أبي قلابة، عن ثوبان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(إذا رأيتم السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة المهدي)** ^(٣).

● أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن الحسن التيملي، قال: حدثنا عمرو بن عثمان، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، قال: (قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعت رجلاً من همدان يقول له: إن هؤلاء العامة يعيروننا، ويقولون لنا: إنكم تزعمون أن منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا الأمر، وكان متكئاً فغضب وجلس، ثم قال: **لا ترووه عني، وارووه عن أبي، ولا حرج عليكم في ذلك، أشهد أنني قد سمعت أبي عليه السلام يقول: والله إن ذلك في كتاب الله صلى الله عليه وآله لبين حيث يقول: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ^(٤)، فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبته لها فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء: ألا إن الحق في علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته، قال: فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتواري عن أهل الأرض ثم ينادي: ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته فإنه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه، قال: فيثبت**

١- معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام - للشيخ الكوراني: ج ١ ص ٢٩٩.
٢- ينظر: الغيبة - للشيخ الطوسي: ص ١٥٠، وغيرها من المصادر التي نقلت وصية رسول الله صلى الله عليه وآله عن الشيخ الطوسي.
٣- ميزان الاعتدال - الذهبي: ج ٣ ص ١٢٨.
٤- الشعراء: ٤.

الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق وهو النداء الأول ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرضى والله عداوتنا، فعند ذلك يتبرأون منا ويتناولونا، فيقولون: إن المنادي الأول سحر من سحر أهل هذا البيت، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله وَعَلَيْكَ: **﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾** (١) (٢).

● أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدثني أحمد بن يوسف بن يعقوب أبو الحسن الجعفي من كتابه، قال: حدثنا إسماعيل بن مهرا، قال: حدثنا الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه ووهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)، أنه قال: (إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهندي العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقعوا فرج آل محمد عليهم السلام إن شاء الله وَعَلَيْكَ إن الله عزيز حكيم، ثم قال: الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان؛ لأن شهر رمضان شهر الله، والصيحة فيه هي صيحة جبرائيل إلى هذا الخلق، ثم قال: ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقداً إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجله فرعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإن الصوت الأول هو صوت جبرئيل الروح الأمين عليه السلام. ثم قال عليه السلام: يكون الصوت في شهر رمضان في ليلة الجمعة ليلة ثلاث وعشرين فلا تشكوا في ذلك، واسمعوا وأطيعوا، وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس اللعين ينادي: ألا إن فلاناً قتل مظلوماً ليشكك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شك متحير قد هوى في النار، فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكوا فيه أنه صوت جبرئيل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه (عليهما السلام) حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرض أباه وأخاها على الخروج، وقال: لا بد من هذين الصوتين قبل خروج القائم عليه السلام: صوت من السماء وهو صوت جبرئيل باسم صاحب هذا الأمر واسم أبيه، والصوت الثاني من الأرض هو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوماً، يريد بذلك الفتنة، فاتبعوا الصوت الأول وإياكم والأخير أن تفتنوا به) (٣).

١- القمر: ٢.

٢- كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني: ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

٣- كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني: ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

استبان الآن للقارئ مدى تعلق الرؤيا بصاحب الأمر كونها علامة من علامات ظهوره عليه السلام وهي دالة عليه ومعرفة به، ولذلك أمسك الطاهرون عليهم السلام أن يعطون من يسألهم كل ما يتعلق بالرؤيا خوفاً على صاحب الأمر عليه السلام، وكذلك لتتم حجة الله سبحانه على الخلق في أنه عليه السلام هو من يدعو الناس إليه ويحتج عليهم، فقد ورد عن ابن سنان، عن عبد الله بن مسكان، عن مالك الجهني، قال: (قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنا نصف صاحب هذا الأمر بالصفة التي ليس بها أحد من الناس. فقال: لا والله، لا يكون ذلك أبداً حتى يكون هو الذي يحتج عليكم بذلك ويدعوكم إليه) ^(١).

ولعل من أسباب إمساك الطاهرين عليهم السلام في إعطاء كل ما يتعلق بالرؤيا لأصحابهم قبل مجيء صاحب الأمر كون صاحب الأمر هو باب ملكوت الله سبحانه الذي يفتح بأمر أبيه الإمام المهدي عليه السلام كونه صاحب دولة ملكوت الله - بحسب ما يسميها أهل الكتاب - وهو ملك يوم الدين، والحديث عنها قبل أوانها يكشف الباب للناس الذي حرص أهل البيت عليهم السلام على إخفاء اسمه.

وورد في ذلك روايات دلت على ضرورة إخفاء اسمه، حيث ورد عن محمد بن همام، قال: حدثنا أحمد بن مابنداذ وعبد الله بن جعفر الحميري، قالوا: حدثنا أحمد بن هلال، قال: حدثنا الحسن بن محبوب الزراد، قال: (قال لي الرضا عليه السلام: إنه - يا حسن - سيكون فتنة صماء صيلم يذهب فيها كل وليجة وبطانة - وفي رواية: يسقط فيها كل وليجة وبطانة -، وذلك عند فقدان الشيعة الرابع من ولدي، يحزن لفقده أهل الأرض والسماء، كم من مؤمن ومؤمنة متأسف متلهف حيران حزين لفقده، ثم أطرق ثم رفع رأسه وقال: بأبي وأمي سمي جدي، وشيبي وشيبي موسى بن عمران، عليه جيوب النور، يتوقد من شعاع ضياء القدس كأني به آيس ما كانوا، قد نودوا نداء يسمعه من بالبعد كما يسمعه من بالقرب، يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على الكافرين. فقلت: بأبي وأمي أنت، وما ذلك النداء؟ قال: ثلاثة أصوات في رجب: أولها: (ألا لعنة الله على الظالمين)، والثاني: أذفت الآزفة يا معشر المؤمنين، والثالث: يرون يداً بارزاً مع قرن الشمس ينادي: ألا أن الله قد بعث فلاناً على

هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي المؤمنون الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم^(١).

ورود أيضاً عن محمد بن همام، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك، قال: حدثنا محمد بن أحمد المدني، قال: حدثنا علي بن أسباط، عن محمد بن سنان، عن داود ابن كثير الرقي، قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، قد طال هذا الأمر علينا حتى ضاقت قلوبنا ومتنا كمدًا. فقال: **إن هذا الأمر آيس ما يكون منه وأشدّه غمًا، ينادي مناد من السماء باسم القائم واسم أبيه.** فقلت له: جعلت فداك، ما اسمه؟ فقال: **اسمه اسم نبي، واسم أبيه اسم وصي**)^(٢).

وروي عن علي بن أحمد بن موسى رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا إسماعيل بن مالك، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جده عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام - وهو على المنبر -: (يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض اللون، مشرب بالحمرة، مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان: شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله، له اسمان: **اسم يخفى واسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد وأما الذي يعلن فمحمد، إذا هز رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد، وأعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلاً، ولا يبقى ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة (في قلبه) وهو في قبره، وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم صلوات الله عليه)^(٣).**

وروايات أخرى كثيرة وردت في هذا السياق تؤكد على إخفاء اسم صاحب الأمر حتى يأتي زمنه ويكون هو من يحتج على الناس ويدعوهم إليه، ويقوم عليهم الحجّة بأدلة الأنبياء والمرسلين

١- كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني: ص ١٨٦.

٢- المصدر نفسه: ص ١٨٦ - ١٨٧.

٣- كما الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٦٥٣.

ﷺ التي منها دليل الرؤيا في الملكوت حيث ثبت كونها سبيلاً معرفاً بصاحب الحق كما ورد في قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام لما رأى الرؤيا.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١)، ومن يتدبر سياق الآية يلحظ أن يعقوب عليه السلام ينهى ابنه يوسف عليه السلام عن قص رؤياه على إخوته، والنهي لا يقع من حجج الله سبحانه إلا على أمر منكر!! فما المنكر الذي سيكون بقص الرؤيا؟؟ بينه يعقوب عليه السلام أن هؤلاء لو سمعوا بما رأى يوسف عليه السلام في ملكوت السماوات سيتبين لهم أن الأمر من بعد أبيهم عليه السلام هو ليوسف عليه السلام وليس لأحد منهم، وهنا سيكون للشيطان (لعنه الله) حضوره القديم عندما وسوس لقابيل (لعنه الله) كي يقتل هايل عليه السلام؛ لأن الأمر جاء من الله سبحانه أنه وصي أبيه آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَنْ نَسُطَ إِلَيْكَ يَدَاكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

وبذلك يتبين أن الرؤيا سبيل بيان يعرف به حجة الله فهي - أي الرؤيا - كاشفة عن المصداق بصورة لا شك فيها ولا ريب، وفي هذا رد واضح على تقولات فقهاء السوء غير العاملين الذين يحاولون أن يلبسوا على الناس أمر الرؤيا وكونها دليلاً لتعيين المصداق الحق، وكذلك يتبين وصفهم لها بالسحر، بل أن الحال يصل بهم إلى وصف آل محمد عليهم السلام الطاهرين المطهرين بنص القرآن بذلك، وما يدفعهم إلى هذا التسافل المخزي هو كي لا يسلموا إلى صاحب الأمر الذي بعثه الله سبحانه لهم علماً وهادياً ومنقذاً من الضلال، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ

فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿٣﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿٤﴾ (١).

هذه الآيات الكريمة تبين أن الحق سبحانه لو فتح عليهم باباً من السماء وهو باب الملكوت فظلوا في هذا الباب يعرجون إلى الملكوت ويرون به حقائق الأشياء، فسيكون رد أولئك على هذه النعمة الإلهية العظيمة ليس الشكر ومعرفة الحق بل إنكار تلك الحقائق التي رأوها في عالم الطهارة والصدق بل الأنكى أنهم سيححدونها بوصمها بالسحر، وبذلك يدخلون الشك في قلوب السامعين الذين يسمعون ما يقوله أولئك الراؤون.

أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن الحسن التيملي، قال: حدثنا عمرو بن عثمان، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، قال: (قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعت رجلاً من همدان يقول له: إن هؤلاء العامة يعيروننا، ويقولون لنا: إنكم تزعمون أن منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا الأمر، وكان متكئاً فغضب وجلس، ثم قال: لا ترووه عني، وارووه عن أبي، ولا حرج عليكم في ذلك، أشهد أنني قد سمعت أبي عليه السلام يقول: والله إن ذلك في كتاب الله صلى الله عليه وآله ليين حيث يقول: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (٢)، فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبته لها فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء: ألا إن الحق في علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته، قال: فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض ثم ينادي: ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته فإنه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه، قال: فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق وهو النداء الأول ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا، فعند ذلك يتبرؤون منا ويتناولونا، فيقولون: إن المنادي الأول سحر من سحر أهل هذا البيت، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (٣) (٤).

١- الحجر: ١٠ - ١٥.
٢- الشعراء: ٤.
٣- القمر: ٢.
٤- كتاب الغيبة: ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

الخاتمة

تبين للقارئ الكريم من خلال هذا البحث أن الرؤيا هي طلائع الوحي الإلهي وهي جزء من أجزاء النبوة بحسب ما ورد عن الطاهرين عليه السلام، والرؤيا هي وإن كانت من الأحلام ولكنها تختلف كونها القسم الأثبت والأقدر على نقل الحقيقة من عالم الملكوت، وما تلك المحاولات التي يحاولها فقهاء السوء الضالون المضلون التي يريدون من خلالها خلط الأوراق وتليبس الأمور على الناس، والاستمرار في استجهاهم بشأن دينهم وعقيدتهم حيث يجعلون الأحلام والرؤى كلها في كفة ميزان واحد ليختلط على الناس الحابل بالنابل.

وحقيقة الأمر التي بينها البحث من خلال استقراءه لروايات الطاهرين عليه السلام بينت بشكل واضح وجلي أن الرؤيا هي قسم من الأحلام، فمن الأحلام ما هو حديث نفس وهو المسمى بـ (الأضغاث)، ومنها ما هو إلقاء من الشيطان (لعنه الله) الغاية منه تحزين المؤمن وتخدير الضال كي يبقى على ضلاله، ومنها ما هو من الملكوت وهو حق، بل هو سبيل الحق لمعرفة الحق، وهو ناقل للمعرفة الحق من عالم لم يعص فيه الله سبحانه، ولذا فلا سبيل لإنكاره والظعن فيه، ومن يفعل ذلك يكون قد شهد على نفسه برد شهادة الله سبحانه وإنكار جزء من أجزاء النبوة، ومن أنكر جزءاً فقد أنكر الكل، وهو كافر، وكذلك فأمر الرؤيا والتصديق بها هو شعبة من شعب الإيمان الكاشفة عن تعلق العبد بالغيب.

قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾**^(١)، والمؤمن بها ممدوح بنص كتاب الله سبحانه فقد امتدح الله سبحانه نبيه إبراهيم عليه السلام على تصديقها، قال تعالى: **﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾**^(٢)، وسماه من المحسنين لتصديقها، فأني يكون لفقهاء الضلالة إنكار هذه الحقيقة الواضحة البينة بيان الشمس في رابعة النهار، ولأنهم لا يستطيعون ذلك تروغهم يهرعون إلى التلبس والتدليس حيث يسمون الرؤيا باسم الحلم، مع أن الأمر واضح وبين، ولكن هؤلاء يفتضحون بانكشاف الحق ولا غطاء لهم إلا بالتحلف بالشبهات كي يجعلوها - كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام حال أحدهم - عاذراً لسقطاتهم، ولكن هيهات، فقد حضر باب ملكوت الله وبه استبان الحق من الباطل، وأشرق الصبح لذي عينين،

١- البقرة: ٣.

٢- الصافات: ١٠٥.

وما عادت تنظلي على طالب الحق تلك الأباطيل التي سوقها ومازال يسوقها فقهاء الضلالة الخونة - بحسب وصف رسول الله ﷺ - الذين جعلوا أنفسهم كالصخرة في فم النهر فلا هي تشرب ولا تترك الماء يخلص إلى الزرع، بذلك الوصف وصفهم عيسى عليه السلام كذلك، ولعل من النافع إجمال نتائج البحث بنقاط هي:

- تبين من خلال البحث معنى الحلم - لغوياً - وأنه دلالة امتلاء، وبالحلم تمتلئ النفس الإنسانية من سبيلين لا ثالث لهما، وهما: سبيل النور وهو سبيل الملكوت، ويسمى الحلم عندها رؤياً، أو سبيل الظلمة وهو يتفرع إلى: إلقاء الشيطان (لعنه الله) لتخدير الضال كي يبقى على ضلالته ما دام هو مختاراً لها، ولتحزين المؤمن.

والفرع الثاني: هو حديث النفس أو ما يسمى بـ (أضغاث الأحلام)، وقد تبين أن هذه الأضغاث لا تكون حاملة لعلم أو معرفة إنما هي تنفيس عما تعرضت له النفس البشرية من قمع في واقعها الحياتي المعاش، ولذا كان تركيزنا على الرؤيا الناقلة لخبر الملكوت وهي معرفة حق لا سبيل إلى التلبس عليها بعد البيان والتشخيص.

- تعد الرؤيا طريقاً من طرق الوحي الإلهي، وهي دلالة على مدى تعلق العبد بالغيب وإيمانه به، ولذا فهي كاشفة عن إيمان المؤمن، وكذلك هي شهادة له من الغيب أنه على الصراط الذي يرتضيه رب العزة والجلال.

- امتدح الحق سبحانه من يصدق بالرؤيا وسمى نبيه إبراهيم عليه السلام محسناً؛ لأنه صدق بالرؤيا وسعى إلى العمل بها بحسب ما أمره الله ﷻ.

- شكلت الرؤيا سبيلاً لبيان صاحب الحق للناس ومن خلالها يمكن أن يتحدد المصدق، وهذا ما دفع نبي الله يعقوب عليه السلام إلى نهي يوسف عليه السلام من قص الرؤيا على إخوته؛ لأنهم سيعلمون - وهم ليسوا أنبياء - أن يوسف عليه السلام هو خليفة أبيه يعقوب عليه السلام.

وتوضح من خلال البحث كيف أن الرؤيا ناقلة لخبر المستقبل من الأيام حيث كانت رؤيا يوحنا مبينة لأحداث ستقع في آخر الزمان، كما أنها بينت حجج الله الأربعة والعشرين (أربعة وعشرون شيخاً جالساً)، والشيخ الجالس على العرش وهو رسول الله محمد ﷺ وهو إخبار غيبي تحقق في أرض الواقع وذكرته وصية رسول الله ﷺ التي أملاها ليلة وفاته على علي عليه السلام حيث

قال له: **(يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً...)**^(١)، مما يدل على أن الرؤيا ضرورة لمعرفة الحق لا غنى عنها مطلقاً، بل عدم وجودها هو دلالة انقطاع هذا العالم عن عوالم النور، ولو انقطع هذا العالم عن عوالم النور يسيخ بأهله؛ لأن ذلك يعني أن لا حجة فيه.

- والأمر الأهم في ذلك البحث هو أن الرؤيا لها تعلق وارتباط بآخر الزمان وفي صاحب الأمر بوصفها علامة من علامات ظهور القائم عليه السلام ففتح باب الملكوت لأهل آخر الزمان هو دلالة على وجود رسول، وعلامة على ظهور الإمام المهدي عليه السلام، واستبان ذلك الأمر من القرآن الكريم في الآيات (١٠ - ١٥) التي ذكرناها من سورة الحجر، وكذلك الروايات الواردة عن الطاهرين عليهم السلام في هذا السياق، التي بينت أن الصيحة هي أمر ملكوتي وصوت ما قاله إنس ولا جان يعني هو صوت ملائكة، ولا يكون صوت الملائكة إلا من الملكوت، ومن ثم فهذه الصيحة هي من مصاديق الرؤيا، ولو لم تكن كذلك فلا معنى لها.

وفي ختام القول أسأل الله سبحانه ببركة أحبائه وأصفيائه وأوليائه سادتي وقادتي محمد وآل محمد الأئمة والمهدين الطيبين الطاهرين عليهم السلام أن يجعل هذا الجهد وهو أقل القليل في ساحة نظره، وأن ينفع به كاتبه وقارئه فكل ما فيه من نافع فهو بتوفيق الله سبحانه وبركة محمد وآل محمد عليهم السلام، وهو ما عرفه الباحث من رشحات مولاه الإمام أحمد الحسن عليه السلام باب ملكوت الله والرسول المهيب والمعد والمؤسس لقيام دولة الحق والعدل والرحمة، دولة ملكوت الله في هذا العالم، وما فيه من خطل وعثرات فهو من صاحب البحث كونه ينظر إلى نور الحق والحقيقة بعينه ووعاؤه بقدره لا بقدرها، ولذا فاستغفر الله سبحانه وأستقبله العثرات والزلات، واستمىح وليه الأعظم ووصيه ورسوله إلى الناس كافة العذر عن التقصير فضلاً على القصور، وهم الكرماء الحلما، والعذر عند كرام الناس مقبول، ومن هو أكرم من آل محمد عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهدين وسلم تسليماً.

الأستاذ نركي الأنصاري

الفهرس

٥	تقديم
٩	مدخل

الفصل الأول

١٧	المبحث الأول: الحلم؛ ما هو (لغة واصطلاحاً) ؟
٢٦	مبحث: بيان الأحلام، وكيفية حدوثها، وعلة ذلك ؟
٣٣	مبحث: الرؤيا تجري مجرى كلام الرب
٣٨	مبحث: ما ملاك حجية الرؤيا: الرائي أو المرئي؟؟
٤٢	مبحث: موضع الرؤيا

الفصل الثاني

٤٧	المبحث الأول: رؤيا إبراهيم في ملكوت السماوات
٥٦	المبحث الثاني: الرؤيا في سورة يوسف
٦١	المبحث الثالث: الرؤيا في الكتاب المقدس

الفصل الثالث

٧٣	المبحث الأول: الأحلام وأقسامها
٨٦	المبحث الثاني: أركان الرؤيا
٩٦	مبحث: تعلق الرؤيا بصاحب الأمر
١٠٨	الخاتمة
١١١	الفهرس

والحمد لله رب العالمين